IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 31, No 1, 2023, pp 423 - 455

Received on (22-03-2022) Accepted on (24-05-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.1/2023/16

Book (A Defense and Apology to Mohammad and the Qur'an) to English writer John Davenport-Critical Analytical Study

Abdul Razzaq A. Ragab[*1]**, Abdullah H. Ayyash**[*2]
Department of Fundamentals of Religion - Faculty of Sharia - Yarmouk University[*1]**,**
PhD student in the Interpretation and Sciences of the Qur'an Program - Yarmouk University[*2]
[*]Corresponding Author: arazzakrajabi@yahoo.com

Abstract:

This study dealt with the book "A defense and apology for Mohammad, Peace be upon him, and the Qur'an" with criticism and analysis. It initially reported the writer John Davenport's defense to the Holy Qur'an, and the Prophet Peace be upon him, with the researcher's comment by increasing confirmation and clarification of what was right in it, and as a sign and warning of what was wrong with it. Then, the study praised the errors of the book, between what is suspected of causing offense and what is not. Its topics varied between a prophetic biography, metaphysical issues, historical information, and more. With a statement of the truth in all of that, from the Book of Allah and the sayings of the commentators, the hadiths of the Prophet Peace be upon him and the words of the commentators, in addition to the approved references to the purified biography of the Prophet. Then, the study focused on what prompts the good faith of the writer, as he mentioned sensitive issues related to the Prophet and the Qur'an, which were exploited by other orientalists to defame Islam, but Davenport mentioned them with the utmost objectivity and fairness.

In conclusion, the study indicated that despite this objectivity that characterizes the book, it did not include the author's declaration of the entry of Islam, and the recognition of the prophet hood of the Prophet was only a hint.

Keywords: Quran, Prophet, Davenport, defense.

كتاب (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن) للكاتب الإنجليزي جون ديفنبورت ـ دراسة تحليليَة نقديَة

د. عبد الرزاق أحمد رجب[1] ، عبد الله حسن عياش[2]
قسم أصول الدين-كلية الشريعة- جامعة اليرموك[1] ، طالب دكتوراة في برنامج التفسير وعلوم القرآن- جامعة اليرموك[2]

الملخص:

تناولت هذه الدراسة كتاب دفاع واعتذار لمحمد والقرآن بالنقد والتحليل، فأوردت بدايةً دفاع الكاتب الإنجليزي (جون ديفنبورت) عن القرآن الكريم والنّبي صلى الله عليه وسلم مع تعليق الباحثَيْن خلال ذلك؛ بزيادة تأكيد وإيضاح لما أصاب فيه، وإشارة وتنبيه لما أخطأ فيه. ثم ثنّت الدراسة ببيان أخطاء الكتاب بين ما فيه شبهة للطعن، وما ليس فيه. وتنوعت موضوعاتها ما بين سيرة نبوية، وقضايا غيبية، ومعلومات تاريخية، وغير ذلك. مع بيان وجه الحقّ في ذلك كله، من كتاب الله تعالى وأقوال المفسرين، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام الشُرّاح، بالإضافة إلى المراجع المعتمدة للسيرة النبوية المطهّرة. ثم قفّت الدراسة بالكلام على ما يدفع لحُسن الظنّ بالكاتب، حيث ذكر قضايا حساسة تتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، استغلها غيره من المستشرقين للطعن في الإسلام، ولكن "ديفنبورت" أوردها بمنتهى الموضوعيّة والإنصاف. وفي الختام، أشارت الدراسة إلى أنّه بالرغم من هذه الموضوعية التي اتصف بها الكتاب، إلا أنّه لم يتضمن إعلان الكاتب دخول الإسلام، ولم يرد فيه الاعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم إلا إشارة وتلميحاً.

كلمات مفتاحية: القرآن، النبيّ، ديفنبورت، دفاع.

المقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين الذي خَصّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، ومنّ علينا بشرع مُحكَمٍ متين {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42] والصّلاة والسّلام على سيّد الخلق أجمعين، وحجة الله على العالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى أصحابه الغرّ المحجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الإسلام العظيم سيبقى محفوظاً مكنوناً، وأنّ منزله جلّ جلاله سيقيّض له في كلّ جيلٍ رجالًا عُدولًا "يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"[1]، فيا سَعْدَ من وفّقه الله لذلك، وأقامه فيه، ويا فوز من سخّره لذلك، واستعمله فيه. بل إنّ الله سبحانه يُسخّر لنصرة الإسلام أناساً من غير أبنائه، ويؤيده بمن ينطق بغير لسانه، رجالٍ نشأوا بين مناوئيه وشانئيه، وتربّوا على بُغضه وعدائه؛ يجعلهم الله سهاماً يرمي بهم صدور أقوامهم، ويكسر بهم أقلامهم، ويُسفّه أفكارهم؛ {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص: 68]

وهذه الدراسة التي نحن بصددها، تُعنى بتحليل ونقد كتاب بعنوان: (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)، للكاتب الإنجليزي (جون ديفنبورت)[2] والذي يظهر من عنوان كتابه أنّ هدفه الدفاع عن الحقيقة، ونهجه الصدق والموضوعية، وقصده إنصاف الإسلام.

مشكلة الدراسة: تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما مدى إنصاف الكاتب للإسلام عموماً وللقرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً؟ أو إن شئت فقل: ما مدى مطابقة مضمون الكتاب وما جاء فيه؛ للعنوان الذي اختاره "ديفنبورت"؟ هل هناك مطابقة تامة؛ فكان عمله في الكتاب دفاعاً بحق؟ أم أن المطابقة جزئية، بحيث دافع حيناً، وهاجم حيناً آخر؟ أم أنّ المطابقة معدومة بالكليّة، فكان عمله الدّفاع ظاهراً، والطعنُ باطناً؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلةُ الفرعيّة الآتية:

- ما الذي أصاب فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)؟.
- ما الذي أخطأ فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)؟.
- ما الذي يدفع لحُسن الظنّ بالكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)؟.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- بيان الذي أصاب فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن).
- بيان الذي أخطأ فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن).
- استنتاج الذي يدفع لحُسن الظنّ بالكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن).

أهمية الدراسة: تظهر أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب:

1) التعريف بكتاب وكاتب نصب نفسه للدفاع عن الإسلام، فكان لا بدّ من وضع كتابه على مِحكّ النظر؛ ليظهر للمسلمين مدى مصداقيّته في ذلك، ثم التحذير منه إن كان مُدّعياً كاذباً.

---

1) رواه البيهقي في دلائل النبوة في (فصل)، (ج1، 44/43)، وقال: ورواه الوليد بن مسلم عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن الثقة من أشياخهم عن النبيّ. وقد جدّ تصديق هذا الخبر في زمان الصحابة ثم في كل عصر من الأعصار إلى يومنا هذا، وقام بمعرفة رواة السنّة في كل عصر من الأعصار جماعة وقفوا على أحوالهم في التعديل والجرح، وبيّنوها ودوّنوها في الكتب حتى من أراد الوقوف على معرفتها وجد السبيل إليها، وقد تكلم فقهاء الأمصار في الجرح والتعديل فمن سواهم من علماء الحديث".

2) تعذّر أن نجد ترجمة لحياة الكاتب الإنجليزي (جون ديفنبورت) في موسوعات المستشرقين، أو الكتّاب الغربيين، وقد أشار إلى هذا أيضاً مترجم كتاب (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)، وهذا اقتضى الاستفادة مما توصل إليه المترجم من معلومات عن حياة الكاتب.

جون ديفنبورت: من كبار الكتّاب الإنجليزي في العصر الفكتوري في القرن التاسع عشر. كان عالماً بالتاريخ، وله عدّة كتب عن تاريخ إنجلترا والدولة العثمانية والمغول. كما كان عالماً باللغو، وبالأديان وتطوراتها، بالإضافة إلى أنّه كان أستاذاً لعلم وظائف الأعضاء، توفي سنة 1877م. ينظر: كلام المترجم صالح صابر زغلول في التعريف بـ(جون ديفنبورت)، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص22–ص28)

2) تُعنى هذه الدراسة ببيان أخطاء الكاتب، سواء وقعت عمداً أم سهواً؛ سيقت للطعن أم لا. فيكون المسلمون منها على بصيرة، حتى لا يأخذوا كلّ ما ورد فيه على أنه مسلّمات؛ اعتماداً على عنوان الكتاب الذي هو الدفاع عن الإسلام.

3) أنّ إشهار الكاتب والتعريف به إنْ كان مدافعاً بحق، يرفع أسهم الإسلام عند غير العرب والمسلمين؛ لأنّ المدافع هنا ليس مُسلماً ليُدمَغ بالعصبية، بل هو عالمٌ من بني جلدتهم، فهو من أنفُسِهِم وأنفَسِهِم، والحقّ ما شهدت به الأعداء.

4) أنّ دفاع الكاتب –إنْ كان منصفاً– تعريف بكاتب قد خرج عن مألوف الكُتّاب الغربيين؛ الذين لا تخلو كتاباتهم –غالباً– من همز ولمز وغمز للإسلام العظيم؛ فيكون هذا الكاتب مُغرّداً بالحق خارج سرب ينعق بالباطل.

5) خدمة كتاب يتحمس المسلم حين يراه لقراءته؛ بسبب عنوانه الجذّاب ومؤلفه الأجنبي، فيجد في تعليقاته، ما يُثريه معلوماتيّاً، ويُحصّنه عقليّاً، ويزيده إيماناً ويقيناً إن شاء الله تعالى.

منهجية الدراسة: سلك الباحثان في هذه الدراسة المنهجيْن التحليلي والنقدي؛ إذ قاما بقراءة الكتاب قراءة فاحصة متأنية، من خلال الوقوف على عبارات الكاتب، ثم التدقيق في كل فِقرة وفِكرة. ثم يشرع الباحثان بالتعليق تأييداً أو تفنيداً، فيوافقا الكاتب فيما أصاب فيه، مدعّماً كلامه بالدليل والبرهان من القرآن والسنّة، أو يخالفاه فيما أخطأ فيه، بإقامة الحجة عليه من المنقول والمعقول.

الدراسات السابقة: قام الباحثان بالبحث مُطوّلاً في مكتبات الجامعات، وموسوعات الكتب، ومواقع الشبكة العنكبوتية حول دراسة عُنيت بنقد هذا الكتاب، وتمييز غثّه من سمينه، وإظهار حلوه من أُجاجه، ثم تقويم اعوجاجه، فلم يجدا، بل إنّ الوصول إلى الكتاب نفسه مصوّراً في مواقع الشبكة متعسّر متعذّر.

خطة الدراسة: اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فأمّا المقدمة فقد بيّنت سبب كتابة هذه الدراسة، وأمّا المباحث الثلاثة فهي: المبحث الأول: ما أصاب فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)، وفيه مطلبان: المطلب الأول: دفاع الكاتب عن القرآن الكريم. المطلب الثاني: دفاع الكاتب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . المبحث الثاني: ما أخطأ فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)، وفيه مطلبان: المطلب الأول: أخطاء الكاتب فيما ليس فيه شبهة ولا مدخل للطعن. المطلب الثاني: أخطاء الكاتب فيما فيه شبهة ومدخل للطعن في الإسلام. المبحث الثالث: ما يدفع لحُسن الظنّ بالكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)، وفيه مطلبان: المطلب الأول: إنصاف الكاتب في قضايا مهمة كانت مدخلاً للطعن عند غيره. المطلب الثاني: تلميح الكاتب إلى نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمّا الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج التي خرجت بها الدّراسة.

المبحث الأول: ما أصاب فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)

المطلب الأول: دفاع الكاتب عن القرآن الكريم

دافع الكاتب ديفنبورت عن القرآن الكريم، إمّا بمقارنته بالكتاب المقدس والانتصار له، وإمّا بإيراد شُبهة ثم دحضها وتفنيدها، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: رحمة القرآن ويُسر أحكامه مقارنة بالمسيحيّة

يقول الكاتب: "إنّ العقوبة التي فرضها محمد على من ينتهك حرمة صيام شهر رمضان هي عقوبة سهلة ورفيقة بصفة خاصة، فيقول القرآن سورة (2) البقرة (184): {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}، وكان الأمر على العكس تماماً تحت حكم الإمبراطور المسيحي "شارلمان"، وحتى لوقت متأخر في القرن السابع عشر كان انتهاك الصيام المسيحي يُعاقب بالموت عن طريق قطع الرأس كما يبدو في المحاكمة التي تمت على يد القاضي الرئيسي لسانت كلود على "جلود جيلون"؛ فقد تم اتهامه أنه أكل في

الأول من أبريل عام 1629م بَعْضَ قِطَعٍ من حصان تمَّ قتله وتركه في أرض زراعية أو مرج، وقد نُفِّذت العقوبة كاملة في الثامن والعشرين من شهر يوليو التالي. يُمكن لنا أن نتساءل في جانب مَن كانت الإنسانية والحضارة؟".(1)

يُخبر الكاتب عن يُسر أحكام القرآن الكريم؛ وهذا دفاعٌ عن كتاب الله، وردٌّ للطعون التي تتهمه بالقسوة وانعدام الرحمة. والمثال الذي يورده هو أنّ كفارة الإفطار في رمضان إطعام مسكين واحد، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة، وهو حال شريعة الإسلام بصفة عامة، ولذلك فقد حثَّ القرآن الكريم أهل الكتاب على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه بُعث بالتخفيف عنهم، ورفع الأحكام الثقيلة الشاقة التي فرضها الله عليهم عقاباً لهم على عصيانهم وتمردهم، قال سبحانه: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف: 157]، قال القرطبي: "إنّ بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد، وثقل تلك الأعمال، كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها، فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه"(2) .

وأنت إذا قرأت كتاب الله وجدته يذكر التيسير في الأحكام الشرعية، ورفع العنت عن المؤمنين، قال الله تعالى في رخصة القصر في الصلاة: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} [النساء: 101]، وقال في شأن آيات الصيام:} يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185].

ولكن لا بُدّ من التنبيه على أمرين اثنيْن:

أولاهما: أنّ حكم الإفطار الذي ذكره الكاتب هنا، هو بحقّ من يفطر لعذر، وليس لمن تعمّد الإفطار؛ لأنّ كفارة الصيام لا تُجزئ عن المفطر عمداً دون عُذر، ولكن عليه صيام يوم قضاء بعد رمضان(3).

ثانيهما: أن الذي شرع هذا الحكم وأوجب هذه الكفارة هو الله جلّ جلاله، وليس النبي صلى الله عليه وسلم كما صرّح الكاتب؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام هو نبيّ مرسل مهمته التبليغ عن الله فحسب {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} [يونس: 15].

ثانياً: شبهة قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتأليف القرآن بمساعدة راهب مسيحي، ويهودي فارسي.

يقول الكاتب: "إنّ القول بأنّ محمداً قام بتأليف القرآن بمساعدة راهب مسيحي ويهودي فارسي اسمه عبد الله بن سلام هو قول يدحض، ويفند نفسه؛ فلا يُمكن التصديق والوثوق أنّ بلاغة القرآن وامتياز اللغة العربية يمكن استمدادها من اثنين من الأجانب أحدهما سوري، والآخر فارسي"(4). وفي هذا الموضع من الكتاب ينفي الكاتب هذه التهمة، ولكنه ذكرها بعد ذلك في صُلب الكتاب؛ ولم يعلّق عليها بتأييد أو تفنيد، ولكنه نسبها إلى المسيحيين فقال: "لكن في رواية أخرى، وهي موجودة عامة بين المسيحيين أنّ محمداً قام بتأليف القرآن بمساعدة يهودي فارسي اسمه الحبر (الحاخام) ورقة بن نوفل"(5).

يظهر من كلام الكاتب هنا أنه يُدافع عن القرآن الكريم، وينفي هذه الشبهة، بحجة أنّ القرآن على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة، وقد عجز عن الإتيان بمثله العرب الأقحاح البُلغاء، وقد "كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خُصّوا من البلاغة والحِكَم بما لم يُخَصّ به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يُؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيّد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعا وخِلقةً، وفيهم غريزةً وقوةً، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويُدلون به إلى كل سبب"(6). فكيف نقول بأنّ يهودياً أو

1) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (هامش ص86).
2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج300/7)
3) ينظر: الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، (ج1/ 455-457 باختصار).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (هامش ص 132).
5) المرجع السابق، (هامش ص 43).
6) القاضي عياض، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، (ص318).

نصرانياً أتى به، أو ساعد في تأليفه؟ "لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل"[1]. ويبدو أنّ هذا الردّ الذي أورده الكاتب هنا قد استفاده من كتاب الله، فقد ذكر الله شبهةً أثارتها قريش؛ بأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد تعلّم القرآن من رجل أعجميّ في مكة، ثم دحضها ببيان أنّ القرآن عربيّ أعجز العرب، فكيف يقدر عليه أعجميٌّ ما زال يتدرّب على العربية، ولا يعرف منها إلا القدر اليسير [2]، قال الله سبحانه وتعالى : {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: 103]. بل لقد عادت عليهم هذه الشبهة بالعيب والسبّ والانتقاص؛ لأنهم "قد شهدوا فيها أنهم أجهل الأمم، وأن كل غريب عنهم – ولو كان غلاماً سوقيّاً – أهلٌ لأن يُقال عنه أن عنده من العلم ما ليس عندهم"[3]، فثبت أنها شبهة زائفة، وفِرية باطلة.

قلنا: ولكن قبل الحديث عن عُلوّ لغة القرآن التي لا تُدرك، والتي هي دليل دامغ بالفعل على بُطلان هذه الشبهة، لا بدّ من التأكيد على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أبداً أن يكون قد تعلم من هذين الرجلين المذكورين، وبيان ذلك بالآتي:

1- يُلاحظ بداية أن الكاتب يصرّح في الموضع الأول بأنّ اسم اليهودي الفارسي "عبد الله بن سلام"، وفي الموضع الثاني: "ورقة بن نوفل". والحقيقة أنّ كليهما خطأ؛ فعبد الله بن سلام صحابيّ كان يهودياً من بني قينقاع ثم أسلم[4]، فهو من أهل المدينة (يثرب) وكان حليفاً للأنصار [5]، وورقة بن نوفل مكيّ، وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها.

2-ومما يؤكد أنّ عبد الله بن سلام من أهل المدينة ما أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت في الناس؛ لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: يا أيّها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام"[6]. فعبد الله بن سلام يُصرّح بأنه لم يلتقِ الرّسولَ صلى الله عليه وسلم، ولم يرَ وجهه إلا بعدما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ممّا يعني أنه طوال الفترة المكية التي نزلت فيها السور المكية كلّها، والتي يبلغ عددها خمساً وثمانين سورة[7]– لم يحدث لقاء واحد بين النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن سلام، وهذا ينفي تماماً احتمال تعلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم منه.

3-وأما كون ورقة بن نوفل مكيّ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: " فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانيّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمي"[8]. فورقة بن نوفل مكيٌّ وليس فارسيًّا، وهو لم يكُن حبراً يهوديًّا ولا (حاخاماً)، ولكنه كان نصرانيًّا، ولكن ما يهمنا من ذلك –وهو ما يُمكن أن يكون تكأة يتكئ عليها مثيرو هذه الشبهة– أنّ ورقة كان من أهل مكة، وكان قريباً لخديجة، فاحتمال تعلّم النبي صلى الله عليه وسلم منه قويّ وارد، وليس كما هو الحال مع عبد الله بن سلام.

1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 503).
2) ينظر: المرجع السابق، (ج4/ 503)
3) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ص 65).
4) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (ج102/4).
5) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ج3/ 921).
6) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب 42 (ج233/4) حديث رقم 2485. قال الترمذي: هذا حديث صحيح. وأخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب: الأطعمة، باب: إطعام الطعام. (ج1083/2) حديث رقم 3251، وصححه الشيخ الألباني.
7) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج194/1)
8) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ج7/1) حديث رقم 3.

قلنا: أما احتمال تعلم النبي صلى الله عليه وسلم من ورقة بن نوفل قبل البعثة فهو غير وارد، فقد عرف أهل مكة "أنه صلى الله عليه وسلم أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة ولا مُثافنة[1]، ولم يغِب عنهم، ولا جهِل حالَه أحدٌ منهم"[2]. ولو وقع شيء من ذلك لذكرته قريش، كما اتهموه بالتعلم من رجل روميٍّ في مكة، ولكنهم لم يفعلوا، فدل ذلك على عدم وقوعه.

4-وأما بعد البعثة فلا احتمال كذلك لتلقي النبي صلى الله عليه وسلم منه علما، فإن ورقة بن نوفل مات بعد أيام من لقائه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت ذلك في صحيح البخاري في الحديث آنف الذكر: " ثم لم ينشب ورقة أن توفي"[3]. وكلمة (ينشب) تدل على عدم اللبث إلا يسيراً بحيث لا يتسع وقت الإنسان للاشتغال بأمر آخر. قال ابن الأثير: "ولم ينشب أن فعل كذا: أي لم يلبث. وحقيقته: لم يتعلق بشيء غيره، ولا اشتغل بسواه"[4]، وبهذا تنتفي شبهة تعلم النبي صلى الله عليه وسلم من هذين الرجلين.

ثالثاً: عقيدة التثليث بين نفيها في القرآن الكريم وإثباتها في الإنجيل

في هذه المسألة الخلافية المحورية بين الإسلام والمسيحية، وبين القرآن والإنجيل، وبالرغم من كونها قضية مركزية عند النصارى، إلا أنّ الكاتب ينتصر فيها للقرآن الكريم، ويصرّح بأنّ عقيدة التثليث دخيلة على المسيحية، لا أساس لها من الصحة.

ذكر الكاتب في صُلب الكتاب عقيدة المسلمين في نفي الثالوث، وأورد قول الله سبحانه: { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 171]. ثم قال في الهامش: "إنّ النص المشهور عن الشهود الثلاثة (رسالة يوحنا الأولى – إصحاح 5 آية 7) والذي يمثل حجر الأساس لعقيدة الثالوث أثبتت جهود (نيوتن) و(جيبون) و(بورسون) وآخرون أنه تم دسُّه وإقحامه في النص الأصلي، كما أقر وسلّم (كالمت) نفسه أنّ هذه الآية لم يكن لها أي وجود في أيّ نسخة من النسخ القديمة للكتاب المقدس، لقد علم المسيح إلى الإيمان بإله واحد، ولكن (بولس الرسول) بالاشتراك مع (يوحنا الرسول) الذي كان أفلاطونياً؛ أفسدا دين المسيح، وحرّفاه عن توحيده وبساطته بإدخال الثالوث الأفلاطوني، وثالوث الشرق الغير مفهومين" .[5]فهذا انتصار واضح من الكاتب لعقيدة المسلمين، وتفنيد قاطع لعقيدة أساسية جوهرية في النصرانية هي التثليث. ومع تفنيدها يستشهد بعلماء غربيين كبار توصلوا إلى ذلك، وأقروا بأنّ الجملة التي تُعتبر حجر الزاوية في هذه العقيدة تم دسّها وإقحامها في النص الأصلي، وأنّه لم يكن لها وجود في النُسخ القديمة للكتاب المقدس.

قلنا: ومما يدل دلالة قاطعة أنّ عقيدة التثليث دخيلة على الكتاب المقدس، أنّ العهد القديم منه، والذي يؤمن به اليهود خاصةً خالٍ تماما من عقيدة التثليث، "وعدم ورودها في التوراة غير محتاج إلى بيان؛ لأنّ من طالع التوراة الحالية لا يجد فيها ذكراً صريحاً ولا إشارةً أو تلميحاً لهذا الأمر، وعلماء اليهود من عهد موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بعقيدة التثليث، ولا يرضون نسبتها إلى كتبهم"[6].

ويحاول علماء النصارى جاهدين منذ القدم إيجاد نص في العهد القديم يذكر عقيدة التثليث، ويؤكد وجودها فيه، ولو بالإشارة والتلميح، ولكنهم لم يخرجوا بشيء؛ ولم يرجعوا إلا بالخيبة والخسران، ولم يأتوا إلا بتأويلات فاسدة بعيدةٍ، ظاهرةِ البطلان[7].

1) المثافنة هي الملازمة، والمقصود هنا: ملازمة العلم. قال ابن منظور: "ثافَنْتُ الرجلَ مُثافنةً أي صاحَبْتُه لَا يَخْفَى عَلَيَّ شيءٌ مِنْ أَمره، وَذَلِكَ أَن تَصْحَبه حَتَّى تَعْلَمَ أَمرَه. وثَفَنَ الشيءَ يَثْفِنُه ثَفْناً: لَزِمَه". ابن منظور، لسان العرب، (ج13/ 79).

2) القاضي عياض، الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، (ص331).

3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج1، ص7، حديث رقم 3.

4) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (ج5/ 52)

5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص141/140).

6) محمد ملكاوي، مختصر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، (ص126).

7) ينظر تفصيل ذلك: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، (ص98–100).

ويستمر الكاتب في بيان زيف هذه العقيدة، مبيّنا أصلها ومصدرها، وأنها وثنية أفلاطونية. وهذا حقٌ لا شكّ فيه، فعقيدة التثليث عقيدة الوثنيين لا عقيدة الأنبياء الموحّدين. ولمزيد تأكيد على ذلك ننقل قولاً لأحد النّقاد الغربيين لعقيدة التثليث. يقول برتشرد (Prichard): "لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو التولّد الثلاثي (أي: الآب والابن وروح القدس). وقال موريس (Maurice): كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي؛ أي: أن الإله ذو ثلاثة أقانيم. وجاء في كتاب (سكان أوروبا الأول): كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم. وقال العلامة (دوان): إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث؛ أي: القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم. ويدعون هذا التثليث بلغتهم: (تري مورتي)، وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين: أما (تري) فمعناها: (ثلاثة)، و(مورتي) معناها: (هيئات) أو أقانيم، وهي (برهما وفشنو وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكة عن الوحدة، وهي الربُّ والمخلّص وسيف، ومجموع هذه الثلاثة الأقانيم: إله واحد"[1].

ومن خلال ما مرّ معنا في هذا الفصل، فإنّه يظهر بجلاء ثناء الكاتب على النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، ويظهر كذلك أنه نصب نفسه لدحض وتفنيد الشُبهات المثارة حول ذلك. ولكن هذا لا يعني أنّ الكاتب بطوله يُعتبر سبيكة واحدة من الحقّ والصواب، ولكنه كأيّ كتاب آخر يرد عليه النقص، والكمال المذكور ليس إلا للقرآن الكريم، كتاب الله تعالى، قال سبحانه:} كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]

المطلب الثاني: دفاع الكاتب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم

يصوّر ديفنبورت النبيَّ محمداً عليه الصلاة والسلام بأنه من أعظم المحسنين إلى البشرية، ولهذا يصفه بأنه (مصلح ديني)[2]. وقد أكد على هذه الفكرة مرة أخرى مُبيّناً أنّ الإصلاح الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم هو إرجاع الناس إلى عقيدة التوحيد، فقال: "كان محمد مُصلحاً يدعو إلى نشر دين هو دين الآباء الأوائل".[3]

قلنا: إنّ وصف الكاتب للنبيّ عليه الصلاة والسلام إنّما يصح إذا ما تمّ ربطه بكونه متفرعاً عن النبوّة، وأمّا قصْر الأمر على هذا الوصف دون الإقرار بالنبوة التي مصدرها الوحي؛ فإنّ هذا لا يُقبل عقلاً ونقلاً؛ لأنّ هذا الوصف حينئذ لا يكون إلا تعليلاً للرسالة المحمدية بأنّها تغيير للظروف الاجتماعية والاقتصادية وغيرها في البيئة التي ظهرت فيها الرسالة، وأنّه لا دخْل لوحي السماء في ذلك. ومثل هذا التصوّر يتناقض مع الوحي الإلهي المُعجِز الذي نظّم العلاقات جميعها بأحكام وتشريعات عجزت البشريّة عن مثلها. يقول د.حامد إدريس: "ولا شك أنّ هناك فروقاً واضحة بين الأنبياء والمصلحين؛ فالنبيّ إنسان حرّ من بني آدم أوحى الله إليه بشرع، وأمره بتبليغه، فهم جاؤوا بأفكار جديدة تخالف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقيّة واجتماعيّة غير متأثرة بما كانت عليه أممهم، مما يدلّ على ربانيّة ما جاؤوا به من علم أو كتاب. ولقد ظهر لكل منصف أنّ ما دعا إليه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الشّعائر العباديّة، والقيم الأخلاقيّة، وقواعد السلوك لم يكن نابعاً من بيئته، بل كان غريباً عن ثقافتهم، مبايناً لأعرافهم"[4].

وربما يُعترض على هذا العنوان بأنّه حكم على الكتاب وإجابة عن سؤال الدراسة قبل الفراغ منها، ولكن في الحقيقة لم يجد الباحثان أدق من وصف "الدفاع" لما سيورداه في هذا المطلب. وبيان ذلك أن ما سيطالعه القارئ هنا ليس مجرد معلومات أوردها الكاتب صحيحة؛ فلم يُحرّفها ولم يزيّفها؛ وبالتالي حكم الباحثان عليها بأنها دفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن. لا، ولكنه كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن بكل صراحة ووضوح حيث كان يورد الشبهة التي أثارها المستشرقون من بني

1) محمد بن طاهر البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، (ص55/54).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص 39).
3) المرجع السابق، (ص104).
4) حامد محمد إدريس، آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد، (ص52/51).

جلدته، ثم يدحضها. وهذه الشبهات متنوعة متعددة: منها ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتعلق بالقرآن، ومنها ما يتعلق بتاريخ المسلمين، وتجده ينسب هذه الشبهات لـ"الكُتّاب الجدليين"[1] أو "للبعض"[2]، أو "للمسيحيين"[3]، أو "لليونانيين"[4] ثم يشرع في الرد عليها، مصرحاً في كثير من الحالات بأنه "يردّ" على هذه التهم.

وكان عمل الباحثيْن في هذا المطلب هو ذكر محاولات الكاتب كلها في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، سواء ما كان ردّه فيها صحيحاً مقبولاً، أو ما كان ردّه فيها ضعيفاً من حيث الحجة أو خاطئاً من حيث المعنى. والغرض من ذلك بيان أنّ الكاتب كان يحاول بالفعل "الدفاع" عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، كما هو عنوان كتابه. ويندرج في عمل الباحثيْن أيضاً مناقشة هذه الردود التي أوردها الكاتب، سواء أكان ذلك في التأييد له، أم في معارضته، مع بيان سبب هذا الموقف، أو ذاك بالدليل والبرهان.

وبدأ الباحثان بالشبهات التي وُفّق الكاتب في ردوده عليها، ثم ينتقلا إلى تلك التي لم يوفّق فيها كليّاً أو جُزئيّاً. وللتأكيد على موثوقية الدراسة، سيقوم الباحثان بعرض كلام الكاتب كاملاً غير مجتزأ، بالنص لا بالمعنى؛ ليتمكن القارئ من تأمل كلام الكاتب بنفسه، ثم الحكم على تحليل الباحثيْن بالصحة أو بالخطأ.

الشبهة الأولى: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً شهوانياً؛ لأنه تزوج من نساء كثيرات.

يقول الكاتب: "يُقال إنّ محمداً اتخذ بعد وفاة خديجة، وفي فترات مختلفة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة زوجة من خمسة عشر أو ستة عشر تمت خطبتهنّ إليه، وينتقده الكتاب الجدليون بشدة واستمرار بسبب هذا الموضوع، ويقدمون هذا الحدث على أنّه دليل حاسم على حسيّة محمد. ولكن بناء على اعتبارات أنّ تعدد الزوجات بالرغم أنه ممنوع بالقانون الأوروبي، إلا أنه في عصر محمد كان يُمارَس بصفة عامة في الجزيرة العربية ومناطق أخرى في الشرق، وكان بعيداً جداً عن اعتباره عملاً لا أخلاقيًّا؛ لذلك يجب أن نتذكر أنّ محمداً عاش من سن الخامسة والعشرين إلى الخمسين من عمره راضياً قانعاً بزوجة واحدة، وحتى بعد وفاتها في سنّ الثالثة والستين، لم يتّخذ غيرها، وقد تركته وليست لديه رغبات ذكوريّة في حدّ ذاتها، ويحقّ لنا التساؤل: هل هناك أيّ احتمال لرجل شديد الحسيّة والشهوانيّة يعيش في بلد تعدد الزوجات فيه ممارسة عامة؛ أن يظل راضياً قانعاً بزوجة واحدة لمدة خمسة وعشرين عاماً، وهذه الزوجة تكبره بخمسة عشر عاماً؟. ومن هنا نسأل، أليس الأمر بعيد الاحتمال تماماً أن يكون محمد اتخذ زوجاته المتعددات خلال الثلاثة عشر عاماً الأخيرة من حياته وهدفه الأساسي الحصول على علاقة ذكورية؟"[5]

ويستند الكاتب في الردّ على هذه الشبهة إلى عدة حقائق:

الأولى: كان تعدد الزوجات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ عُرف سائد شائع، وعادة مُتبّعة منتشرة، ومع ذلك لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يستقيم ذلك مع قولكم إنه رجل غلب عليه حب النساء، وسيطرت عليه فكرة العلاقة الحميمية.

الثانية: عاش النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين عاماً مع زوجة واحدة فقط، فهل يقدر رجل شهوانيّ، على الصبر ربع قرن من الزمان دون أن يتزوّج بأخرى؛ مع التأكيد على أن النبي صلى الله عليه وسلم أجمل الناس خلقاً، ومن أشرف أهل مكة بيتاً ونسباً.

الثالثة: هذه الزوجة الواحدة التي عاش معها هذه المدة الطويلة ليست شابة صغيرة، وليست أصغر منه سنّاً، بل هي أكبر منه بخمسة عشر عاماً، وقد تزوجها في سنّ الأربعين، فهل هذه صفات "زير النساء" كما يزعمون؟! –حاشاه صلى الله عليه وسلم–

1) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص74).
2) المرجع السابق، (ص40 وص156).
3) المرجع السابق، (ص143).
4) المرجع السابق، (ص59).
5) المرجع السابق، (ص74).

الرابعة: هذه المرأة الواحدة لم تكن بكراً عند زواجه منها، بل كانت قد تزوجت مرتين قبل ذلك، وقد ذكر الكاتب ذلك، عند الكلام على زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها. فهل يبحث شديد الرغبة بالنساء، وعظيم المحبة لهن عن ثيبات أم أبكاراً.(1)

إذاً؛ فنحن أمام حقائق دامغة، الواحدة منها كفيلة بإقناع كل إنسان نزيه؛ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أبعد الناس عن هذه الفرية. وأما الحقيقة من وراء تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العدد من النساء، فكان لأسباب متعددة، ولكنها ترجع إلى أمر واحد فقط؛ وهو إتمام مهمته كرسول مبلّغ عن الله، وليس منها الشهوة والرغبة بالنساء. قال الشيخ المراغي: "راعى النبّيُّ صلى الله عليه وسلم المصلحة في اختيار كلّ زوجة من زوجاته، فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء، وإكرام كرائمهنّ، والعدل بينهنّ، وترك من بعده تسع أمهات للمؤمنين يعلمن نساءهم الأحكام الخاصة بالنساء مما ينبغي أن يعلمنه منهنّ لا من الرجال، ولو كان قد ترك واحدة ما كان فيها الغناء كما لو ترك التسع. وقصارى القول: إنّه عليه الصلاة والسلام ما أراد بتعدد الزوجات ما يريده الملوك والأمراء والمترفون من التمتع بالنساء؛ إذ لو كان قد أراد ذلك لاختارهنّ من حسان الأبكار لا من الكهلات الثيّبات".(2)

الشبهة الثانية: زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بعد طلاقها من زيد بن حارثة رضي الله عنه.

يقول الكاتب: "من الضروري أن نُلاحظ هنا بشأن دحض وتفنيد التهمة الحقودة الشريرة التي وجهها أعداء محمد ضده أثناء هذا الوقت، وهذه التهمة أن محمداً ارتكب سفاح المحارم بزواجه من زوجة مطلقة كانت زوجة ابنه بالتبني. أما الحقائق الواقعية فهي كالتالي: منذ زمن طويل قبل انتشار الإسلام، كان من العادات بين العرب أنه إذا حدث ونادى أيّ شخص زوجته بكلمة (أُمّي)(3) فكان لا يستطيع أن يستمر في العيش معها معايشة الأزواج، أو إذا نادى على شاب بلقب (ابني) فيحصل هذا الشاب حينئذ على كل حقوق الابن الحقيقي، وفي ذلك الحين ألغى القرآن كلّاً من هاتين العادتين(4)؛ فالرجل يستطيع أن يستمر في الحياة مع زوجته حتى بعد أن يُناديها بأم(5)، كما يستطيع الزواج من زوجة ابنه بالتبّني بعد طلاقها.

"وقد كان لدى محمد تقدير عظيم لفتاة اسمها زينب، واقترح زواجها من زيد، وهو شاب له أيضا عند محمد تقدير مماثل، ولم تحدث سعادة في هذا الزواج، فعزم زيد على الطلاق بالرغم من معارضة محمد، وقد شعر الرسول أنه نفسه يُمكن أن يُلام على تزكية هذا الزواج من الأساس، كما تأثر بدموع وحزن زينب، فعزم الرسول أن يقدم لها التعويض الوحيد في إمكانه؛ وهو أن يزوجها نفسه بعد طلاقها من زيد. وكان قراره بالإقدام على هذه الخطة شديد الصعوبة بسبب قلقه من أن بعض رجال قومه الذين ما زالوا متمسكين بالعادة المذكورة، من الممكن أن يتهموه بسفاح القربى، ولكن إحساسه القوي بالواجب تغلب على هذه الاعتراضات، وأصبحت زينب زوجة الرسول"(6).

وفي هذه الشبهة يظهر بوضوح محاولة دفاع الكاتب عن تهمةٍ وُجّهت للنبي صلى الله عليه وسلم، ويصفها بأنها "حقودة شريرة"، ويبدأ حديثه بشرح مسألتي الظِّهار والتبنّي بصورة صحيحة، ولكنه يُخطئ في تعليل زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج من زينب تعويضاً لها، ولا تأثراً بدموعها! ولم يفعل ذلك دفعاً

1) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص54).

2) المراغي، تفسير المراغي، (ج4/ 184/183).

3) يقصد الكاتب عادة الظِّهار المذكور في قوله سبحانه: { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [المجادلة: 2]

4) وذلك في قوله سبحانه في سورة الأحزاب: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب: 4]

5) وذلك بعد أداء الكفارة الواردة في قوله سبحانه: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة: 3، 4]

6) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص87).

للّائمة التي يُمكن أن توجّه إليه! بل فعل ذلك بأمر من الله سبحانه؛ لإبطال عادة التبني، وتبعاً لذلك يكون الزواج من مطلقة الابن بالتبني جائزا؛ لأنّه ليس ابناً. ولا شيء أبْطَل للعادة الفاسدة من مخالفة النبيّ المرسل لها بأمرٍ من ربه.

أراد الله عز وجل أن يُرِي الناس تطبيق هذا الحكم الجديد على النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، حتى لا يتحرج إنسان بعد ذلك منه، وهذا التعليل صرّحت به الآية الكريمة من سورة الأحزاب في قوله سبحانه: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب: 37]، قال ابن كثير : "إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء"[1].

الشبهة الثالثة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ادّعى النبوة لإشباع طموحه ورغباته الذاتية.

يردّ الكاتبُ على هذه الشبهة فيقول: "وذات مرة في الحقيقة عرض عليه خصومه وأعداؤه الثروة والرئاسة إذا تخلى عن دعوته، ولكنه ردّ عليهم بجزء من القرآن"[2]. وبيّن بدليل قوي وحجة دامغة براءة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه التهمة فقال: "إن محمداً كان خالياً تماماً من رذيلة أيّ طموح شخصي، وهذا مُثبت تقريباً في كلّ مشهد من مشاهد حياته، ولكن يمكن إثباته أكثر، وبصفة خاصة بالحقيقة التي لا تقبل الجدل؛ أنه بعد أن عاش ليرى دينه قد تأسس تماماً، وهو نفسه يمتلك قوة غير محدودة، ولكنه لم يستغلها لنفسه أبداً بغرض العظمة الذاتية، لكنه احتفظ حتى النهاية ببساطة وأصالة أخلاقه".[3]

وهذا الردّ الذي أورده الكاتب هنا كفيل بأن يُسكت كل متهمٍ للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان مُدّعياً كاذباً؛ إذ لو كان كذلك –حاشاه– لكانت له أهداف دنيوية يريد تحقيقها من وراء دعواه تلك عندما يحوز المال والسلطة، ويصبح أمره نافذاً، وكلمته مسموعة. وهذا أمر لا يُمكن إخفاؤه؛ إذ لا بد أن تتغير سيرته في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ومركبه وحياته كلها. ولكن لما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم بعد التمكين كحاله قبله؛ لم يُنصّب نفسه ملكاً، ولم يتخذ قصراً، ولم يعِش عيشة الملوك في زمانه؛ دلّ ذلك على أنه لم تكن له نوايا خفيّة، ولا مصالح ذاتية، ولا أهداف دنيوية صلى الله عليه وسلم. يقول ابن الوزير اليماني في حديثه عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم العقلية: "ثم إنه لما قهر الأعداء وقويت شوكته، ونفذت أوامره في الأموال والأرواح؛ لم يتغيّر عن منهجه الأول في الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة. وكل من أنصف علم أن المزوّرَ –وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذكر ذلك– لا يكون كذلك؛ فإن المزوّرَ إنما يُروّج الكذب والباطل على الحق لكي يتمكن من الدنيا، فإذا وجدها لم يملك نفسه عن الانتفاع بها؛ لكيلا يكون ساعيا في تضييع مطلوبه، بل تضييع دنياه وآخرته، وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء"[4].

وإذا أردت أن تعرف حال مُدّعي النبوة الكذّابين، وكيف أن أهدافهم وغاياتهم تظهر في لحن قولهم وثنايا كلامهم ومخاطباتهم؛ فانظر بداية إلى مسيلمة الكذاب الذي أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسالة يقول فيها: "فَإِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ فَلِيَ نِصْفُ الْأَرْضِ وَلَكَ نِصْفُهَا، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا يَعْتَدُونَ"[5]. فقد صرّح مسيلمة أنه يريد أن يقتسم السلطة على الجزيرة العربية بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم. إذا، هي الرياسة والزعامة وحب المنصب والجاه، وهو السبب الأكبر لادعاء النبوة قديماً وحديثاً، يقول د. مصطفى محمود: "التسلل إلى منتدى الأنبياء وادعاء النبوة هواية قديمة قدم التاريخ، بحكم ما جبلت عليه النفوس البشرية من حب الجاه والعظمة، وليس أعظم من أن تكون نبيا، ولا جاه يُبتغى أكبر من جاه الأنبياء"[6]، فهذه نيّة مسيلمة؛ مكشوفة مفضوحة في رسالته.

---

1) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، (ج 6 / 426).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ج64).
3) المرجع السابق، (ص191).
4) ابن الوزير اليماني، إيثار الحق على الخلق، (ص81).
5) رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في بيان النبيّ صلى الله عليه وسلم وفصاحته، (ج3/41)، حديث رقم 1370.
6) مصطفى محمود، حقيقة البهائية، (ص119).

ويقرّ الكاتب في أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يتغير عن سيرته الحسنة وأخلاقه الكريمة وزهده في الدنيا، واستمر ذلك "حتى النهاية" حيث قال: "لم يُنشئ أيَّ قصر لمجده الشخصي بجوار المعبد الذي استردّه تعظيما لله، وحتى مدينة آبائه وعاصمة جنسه وسلالته، ومزار دينه المقدس؛ تركه مرة أخرى وعاد إلى منزله المتواضع" .[1]

أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عُرضت عليه الدنيا بحذافيرها في بداية الدعوة في مقابل التخلّي عن فكرته والتوقف عن دعوته، ولكنه أبى ذلك أشدّ الإباء، فلو كان له طموح شخصي كما يزعمون، لقبل بتلك العروض المغرية، ولكنه لم يفعل. ذكر البيهقي في (دلائل النبوة) ما عرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عتبة ربن ربيعة، حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بِكَ الرِّئَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ فَكُنْتَ رَأْسَنَا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ زَوَّجْنَاكَ عَشْرَ نِسْوَةٍ تَخْتَارُ مِنْ أَيِّ أَبْيَاتِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْمَالُ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَسْتَغْنِي بِهَا أَنْتَ وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ"[2].

فانظر بالله عليك في تلك المغريات التي هي غاية ما يؤمله كل ساعٍ وراء الشهوة طامع في الدنيا طامحٍ إلى الرياسة، ثم انظر كيف أدار النبي صلى الله عليه وسلم ظهره لها أجمع، فهل لقائل بعد ذلك أن يطعن في نيته أو يشكك في مصداقيته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: ما أخطأ فيه الكاتب جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن)

وقع الكاتب في كثير من الأخطاء، وهي تتفاوت في خطورتها؛ لذلك اخترنا أن نجعلها في مطلبيْن: الأول: أخطاء الكاتب فيما ليس فيه شبهة ولا مدخل للطعن. والثاني: أخطاء الكاتب فيما فيه شبهة ومدخل للطعن في الإسلام.

المطلب الأول: أخطاء الكاتب فيما ليس فيه شبهة ولا مدخل للطعن

يمكن تصنيف الأخطاء التي وقع فيها الكاتب ديفنبورت فيما ليس فيه شبهة، ولا مدخل للطعن في الأقسام الآتية:

القسم الأول: أخطاء الكاتب فيما يتعلق بالتفاصيل الزائدة، والمبالغة في الوصف

وقع الكاتب في أخطاء ليست إلا مبالغات غير صحيحة وتفاصيل زائدة لا أصل لها، وهو ما يتنزّه عنه ديننا بصفة عامة، حيث تَرى نصوص الكتاب والسنة تركيزها على النافع المفيد، وتركها حشو القول، وفضول الكلام، مما يصدق فيه أنّ العلم به لا ينفع، والجهل به لا يضرّ ، وفيما يأتي تلك المواضع:

أولاً: قال الكاتب في كلامه عن البراق: "فوجد هناك الملاك جبريل وبجواره يقف البراق؛ وهو حيوان غامض؛ ذو وجه بشري، وأذني فيل، ورقبة جمل، وجسم حصان، وذيل بغل، وحوافر ثور ، ولونه أبيض كاللبن، وسرعته تساوي سرعة البرق نفسه"[3].

قلنا: هذه الأوصاف التي ذكرها الكاتب للبراق (ذو وجه بشري–أذني فيل–رقبة جمل–جسم حصان–ذيل بغل–حوافر ثور)، لم ترد في الوصف النبوي للبراق، ولكن ثبت أنّ لونه أبيض وسرعته خاطفة، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ"[4].

ثانياً: قال الكاتب: "وعند دخول محمد السماء الأولى رأى حشداً كبيراً من الملائكة من كل الأشكال والأنواع؛ بعضها على شكل إنسان، وأخرى على هيئة طيور ، وثالثة على هيئة وحوش من كل وصف، وبين الطيور رأى محمد ديكاً ذا حجم هائل، وريشه أبيض كالثلج"[5].

---

1) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص200).

2) البيهقي: دلائل النبوة. (ج2 ص203).

3) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص75).

4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، (ج1 /145)، حديث رقم 162).

5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص76).

قلنا: هذه الأوصاف التي ذكرها الكاتب للملائكة غريبة مُنكرة؛ فهي لم ترد في كتاب ولا سُنة. وفي حديث الإسراء والمعراج الذي تمت الإشارة إليه في الفقرة السابقة لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الملائكة إلا عند كلامه عن البيت المعمور، قال: " فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"(1)، فلم يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أشكالهم وأوصافهم، فهي نعوت وأوصاف لا أصل لها.

ثالثاً: وقال أيضاً: "حتى وصلا إلى المكان الذي توجد فيه شجرة "اللوتس" والتي تميّز حدود جنة اللذات، ثمار هذه الشجرة كان كبيراً جداً لدرجة أن ثمرة واحدة من هذه الشجرة تكفي لإطعام كل المخلوقات بشكل هائل ولوقت طويل".(2)

قلنا: الشجرة التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم تُسمّى "سدرة المنتهى" وليس اسماً غيرها، مهما بلغت تسميات لأشجار وأزهار من الشهرة كـ"اللوتس" وغيرها، قال سبحانه: }وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى*عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى*عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى*إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} [النجم: 13 – 17]. وأما ثمارها فقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم حجمها، فقال: "ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ"(3). فهي ليست بالضخامة التي ذكرها الكاتب؛ وهذا من مبالغاته، ولكنها كالقلال، وهي جمع قُلّة: وتعني الجرّة. قال الجوهري: "والقُلَّةُ: إناء للعرب، كالجرة الكبيرة".(4)

رابعاً: قال: "وطبقاً للأحاديث، تلقى محمد القرآن بواسطة الملاك جبريل مكتوباً على جلد الكبش الذي ضحّى به إبراهيم بدلاً من إسحاق، وكان القرآن مزيّناً بالذهب والحرير والأحجار الكريمة".(5)

قلنا: لم يتلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن مكتوباً، ولكن مشافهة من الوحي جبريل عليه السلام، قال تعالى: }فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: 18]. قال ابن كثير: "أَيْ: إِذَا تَلَاهُ عَلَيْكَ الْمَلَكُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} أَيْ: فَاسْتَمِعْ لَهُ، ثُمَّ اقْرَأْهُ كَمَا أَقْرَأَكَ"(6). وقال البقاعي: "{فَاتَّبِعْ} أي بغاية جهدك بإلقاء سمعك وإحضار ذهنك. { قُرْآنَهُ} أي: قراءته مجموعة على حسب ما أدّاه إليك رسولنا وجمعناه لك في صدرك، وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة".(7)

إذاً، لم ينزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم مكتوباً، وأما التفاصيل الزائدة من كونه كان على جلد كبش إبراهيم وأنه مزيّن بالذهب والحرير والأحجار الكريمة فهذا كله من الدخيل في علم التفسير، وهو باطل لبطلان الأصل الذي بُني عليه من كون القرآن نزل مكتوباً، وليس كذلك.

وهذا – كون القرآن نزل مشافهة– ذكره الكاتب قبل ذلك، ولكنه صدّره بلفظة (يُقال)، فكتب: "يُقال إن قليلاً من السور القرآنية هي التي نزلت كاملة، أمّا الجزء الأكبر فتمّ تنزيله في أجزاء منفصلة من وقت لآخر، ثمّ كتابته بواسطة كتبة الوحي... وبعد تدوين الأجزاء الموحَى بها من فم الرسول بواسطة كاتبه؛ كانت هذه الأجزاء تُذاع وتُنشر على أتباعه"(8).

وأمّا كون الذبيح إسحاق، فهذا باطل بدلالة الإشارة من قوله سبحانه:} فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: 71] [هود: 71]. قال ابن عطية: "وأما وجه دلالة الآية على أنّ إسحاق ليس بالذبيح؛ فهو أن سارة وإبراهيم بُشرا بإسحاق، وأنّه يولد له يعقوب، ثم أمر بالذّبح حين بلغ ابنه معه السّعي، فكيف يؤمر بذبح ولد قد بشر قبل أنه سيولد لابنه ذلك".(9)

1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، (ج145/1) حديث رقم 162.
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص76).
3(أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، (ج1 ص145)، حديث رقم 162.
4(الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ج5/ 304).
5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص142).
6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج8 / 278).
7) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (ج21/ 101).
8) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص129/128).
9) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (ج3/ 190)

بل إنّ الكتاب المقدس بمجموع نصوصه يشهد بأنّ الذّبيح إسماعيل، وليس إسحاق عليهما السلام، ويشهد كذلك على تناقض الكتاب المقدس، وبيان ذلك بالآتي: جاء في سفر التكوين: "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ: هأنذا. فقال: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ"[1]. وورد في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام كان ابن ثمانين سنة عندما وُلد له إسماعيل: "كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ"[2]. وورد فيه كذلك أن إبراهيم كان ابن مائة سنة عندما وُلد له إسحاق: "وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ"[3]. إذاً، فإسماعيل أكبر من إسحاق بمجموع هذين النّصين، فلا يمكن أن تكون جملة "خذ ابنك وحيدك الذي تُحبه إسحاق" صحيحة، ولكنها تحريف؛ فالبكر الذبيح هو إسماعيل.

القسم الثاني: أخطاء الكاتب فيما يتعلق بتسلسل الأحداث التاريخية

ومن الأخطاء التي وقع فيها الكاتب ترتيب بعض الأحداث التاريخية، وهذا بعد تأمّل لا مدخل فيه للطعن كما سترى، وإليك تلك الأخطاء مع مواضعها من كتابه:

قال الكاتب بعد حديثه عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم في التجارة مع عمه، وقبل حديثه عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة: "وفي غضون هذا الوقت أصيبت الكعبة بحريق [4]".

قلنا: وهذا خطأ، والصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ابن خمس وثلاثين سنة عندما بنت قريش الكعبة، وساعد هو في بنائها، وقد أورد ابنُ كثير في البداية والنهاية روايةَ الزّهري التي استند عليها الكاتب، وفيها أن ذلك كان عند بلوغ النبي صلى الله عليه وسلم الحُلُم ثم قال ابن كثير: " وَهَذَا سِيَاقٌ حَسَنٌ، وَهُوَ مِنْ سِيَرِ الزُّهْرِيِّ، وَفِيهِ مِنَ الْغَرَابَةِ قَوْلُهُ: فَلَمَّا بَلَغَ الْحُلُمَ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَا كَانَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عُمُرُهُ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً".[5]

وقال الكاتب: "ووجّه محمد جيشه والحصار ما زال قائماً ضد قبيلة قريظة، وفي معركة ضارية هزمهم هزيمة تامة"[6]. وهذا القول من الكاتب غلط وخطأ في الترتيب كذلك؛ فغزوة بني قريظة كانت بعد الأحزاب مباشرة، وليس قبلها؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "نَادَى فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ؛ أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"[7].

وقال الكاتب: "في العام التاسع للهجرة وصل السفراء من كل الأنحاء إلى مكة والمدينة؛ ليعلنوا رسميّاً خضوع واستسلام الأمراء المتعددين للرسول"[8]. ثم قال في الفقرة التالية: "في نفس هذا الوقت تقريباً".

قلنا: وهذا خطأ في الترتيب بين الأحداث، فإن غزوة مؤتة كانت في صفر من عام ثمانٍ للهجرة، وفتح مكة في رمضان عام ثمانٍ للهجرة، وغزوة حُنين في شوال عام ثمانٍ للهجرة، فهذه الأحداث كلها قبل العام التاسع؛ وليس كما ذكر الكاتب[9].

وقال الكاتب: "لم يكد يبلغ الطفل عامين حتى مات أبوه"[10].

1) الكتاب المقدس، سفر التكوين، إصحاح 22 عدد 2
2) المرجع السابق، سفر التكوين، إصحاح 16 عدد 16
3) المرجع السابق، سفر التكوين، إصحاح 21 عدد 5
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص53).
5) ابن كثير ، البداية والنهاية، (ج2/ 376).
6) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص87).
7) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير ، باب المبادرة بالغزو ، وتقديم أهم الأمرين المتعارضين، (ج3 /391)، حديث رقم 1770.
8) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص94).
9) ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية، (ج4/ 269 وما بعدها).
10) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص48).

قلنا: هذا خطأ، فقد مات عبد الله؛ والد النبي صلى الله عليه وسلم، وأمّ النبي صلى الله عليه وسلم حامل به. قال ابن هشام: "ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك، وأمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به"[1].

القسم الثالث: أخطاء الكاتب فيما يتعلق ببعض المعلومات غير ما سبق

ثمة أخطاء أخرى وقع فيها الكاتب من هذا الصنف– ونقصد ما ليس فيه شبهةُ طعن، وهي لا تندرج تحت موضوع واحد، ولا تدخل في سلك واحد؛ لذلك جمعناها تحت عنوان "غير ما سبق"، وإليك بيانها:

قال الكاتب: "لم يكن العرب يؤمنون بالحياة المستقبلية التالية أو بخلق العالم، كما كانوا ينسبون خلق الكون إلى الطبيعة" .[2]

قلنا: صحيحٌ أن العرب كانوا يُنكرون البعث بعد الموت، لقوله سبحانه: { بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [المؤمنون: 81، 82]. ولكنهم ما كانوا ينسبون خلق الكون للطبيعة، بل كانوا يؤمنون بأن الخالق هو الله جل جلاله، قال سبحانه: }وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ [العنكبوت: 61]. قال ابن جرير: "ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله، ليقولنّ: الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله".[3]

وقال الكاتب: "ولكن ظلّ محمد يقوم بزيارات ثانوية إلى جبل حراء، عائداً من هناك بسور أو فصول جديدة من الكتاب الذي عرف فيما بعد باسم (القرآن)" [4].

قلنا: ما ذكره الكاتب هنا من أن النبي صلى الله عليه وسلم استمر بالذهاب إلى جبل حراء والرجوع بآيات جديدة غريب مُنكر، فهذا لم يرد في أحاديث بدء الوحي، ولم يقل به أحدٌ من الشّرّاح، وغاية ما جاء في الحديث أن الوحي تتابع على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ"[5]. قال العيني: "وَأَرَادَ بـ(حمي الْوَحْي) اشتداده وهجومه. وَبِقَوْلِهِ (تتَابع) تواتره وَعدم انْقِطَاعه"[6].

وقال الكاتب في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان عمر بالفعل شديد الحنق والغضب على أخته (أمينة) بسبب اعتناقها للدين الجديد". ثم يُكمل في حديثه عنها بعد ضربها عمر، فقال: "قامت الفتاة العذراء..."[7] .

قلنا: هذا خطأ؛ لأنّ الثابت أن أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوارد خبرها في قصة إسلامه[8] اسمها فاطمة، ولم تكن عذراء، بل كانت متزوجة، وزوجها هو سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة. قال ابن الأثير: " فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة.

1) ابن هشام، السيرة النبوية، (ج1/ 84).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص42).
3) الطبري، جامع البيان، (ج20/ 58).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص68).
5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (ج1 /7)، حديث رقم 4.
6) القاضي العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (ج1/ 66).
7) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، 68
8) وهذه القصة لا تصح؛ فقد قال الذهبي في ترجمة القاسم بن عثمان البصري: " قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها. قلت (أي: الذهبي): حدّث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة إسلام عمر، وهي منكرة جداً". الذهبي، ميزان الاعتدال، (ج3/375).

أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عمر، وهي كانت سبب إسلام أخيها عمر.[1]" وقال أيضاً في حديثه عن الإسراء والمعراج: "الموضوع كما رواه الرسول أنه في أحد الليالي وبينما كان نائماً بجوار زوجته عائشة"[2].

قلنا: وهذا خطأ؛ فإنّ حادثة الإسراء والمعراج، وإن كان قد اختُلف في وقت وقوعها على ستة أقوال[3]، إلا أنّها جميعاً تتفق في كونها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، والنبي صلى الله عليه وسلم تزوّج عائشة رضي الله عنها بعد الهجرة[4].

وقال الكاتب في حديثه عن غزوة مؤتة: "كان اليونانيون (الروم) متفوقين في العدد بشكل هائل؛ لأنهم حصلوا على مساعدات العرب الإضافية. فكان لديهم جيش يتكون من حوالي عشرة آلاف رجل"[5].

قلنا: بل تجاوز جيش الروم مع من انضم إليهم من متنصرة العرب مائتي ألف رجل، في مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين، قال نور الدين الحلبي: "فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام؛ فبلغهم أن هرقل ملك الروم في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من قبائل العرب؛ أي المنتصرة: أي من بني بكر ولخم وجذام مائة ألف. وفي رواية: كانوا مائتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وكان المسلمون ثلاثة آلاف"[6].

وقال الكاتب: "رتّب [النبي] كلّ التفاصيل لحملة أخرى على سوريا لمباركة ورفع راية الإسلام، وعهد إلى عمر بقيادة القوات"[7].

قلنا: الصواب أن قائد تلك البعثة كان أسامة بن زيد، وليس عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ: إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ"[8]. قال ابن حجر: "هُوَ الْبَعْثُ الَّذِي أَمَرَ بِتَجْهِيزِهِ فِي مَرَضِ وَفَاتِهِ وَقَالَ أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ فَأَنْفَذَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَهُ"[9].

وقال الكاتب في حديث عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: "نطق آخر كلماته المتقطعة، ولكنها واضحة: "يا رب اغفر لي ذنوبي، آه يا رفيقي (جبريل) سوف أحضر إليك إلى الممالك العُلا" [10].

قلنا: تفسير الكاتب لمعنى "الرفيق الأعلى" بأنه جبريل عليه السلام، هو أحد أقوال شُرّاح الحديث، وهناك أقوال أخرى: بأن المقصود هو: الله جلّ جلاله، أو الجنّة، أو الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين[11].

وقال الكاتب أيضاً: "قام عثمان أحد خلفاء أبي بكر بجمع عدد كبير منها في العام الثلاثين للهجرة"[12].

قلنا: ضَعَّفَ الحافظ ابن حجر هذا القول، ورجّح أن جمع عثمان للقرآن الكريم كان "بَعْدَ مُضِيِّ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ خِلَافَتِهِ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَأَوَائِلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي ذَكَرَ أَهْلُ التَّارِيخِ أَنَّ أَرْمِينِيَّةَ فُتِحَتْ فِيهِ، وَذَلِكَ

---

1) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج7/ 215).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص75).
3) ينظر: صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، (ص143).
4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة، (ج5 /55)، حديث رقم 3894.
5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص97).
6) علي بن إبراهيم الحلبي، السيرة الحلبية، (ج3/ 96).
7) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص109/108).
8) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة زيد بن حارثة، (ج5 /141)، حديث رقم 4250.
9) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج7/ 87).
10) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص110)
11) ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج8/ 137).
12) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص131).

فِي أَوَّلِ وِلَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قِبَلِ عُثْمَانَ، وَغَفَلَ بَعْضُ مَنْ أَدْرَكْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَلَمْ يَذْكُرْ لِذَلِكَ مُسْتَنَدًا"(1).

وقال الكاتب وهو يتحدث عن لذات الجنة: "من الخطأ والزيف أيضاً أن كل المسلمين يؤمنون بأن هذه اللذات مادية؛ لأن الكثيرين يؤكدون على العكس، بأن هذه الأشياء لها صورة رمزية معادلة، وتعتبر لذات روحية"(2).

قلنا: بل إنّ لذّات الجنّة ماديّة حسّيّة، وما ذُكر من نعيم الجنة ليس رموزا لأمور معنوية روحية، كما ذكر الكاتب، يدل على ذلك قول الله سبحانه: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ*لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ*وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ*وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة: 17 – 23]، وقوله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24]. فهذه الآيات وأمثالها مما يُذكر فيها الفاكهة واللحم والأكل والشرب؛ يدل ظاهرها على أنها شهوات حقيقية؛ "ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"(3)، ولا دليل. ثم إنّ سياق الآيات كما هو ظاهرٌ بَيِّنٌ يدل على أنها لذّات جسدية، و"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له"(4). ثم انظر إلى قول الله سبحانه: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن: 56]. وتأمل في كلمة {قبلهم}، التي تدلّ بمنطوقها على أنّ الطمث لم يقع قبلهم، وتدل بمفهومها على أنّه سيقع منهم، ولو لم توجد هذه الكلمة لنُفي الفعل عن المؤمن كذلك. قال الرازي: "الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: مَا الْفَائِدَةُ فِي كَلِمَةِ {قَبْلَهُمْ}؟ قُلْنَا: لَوْ قَالَ: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ؛ يَكُونُ نَفْيًا لِطَمْثِ الْمُؤْمِنِ إِيَّاهُنَّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ"(5).

وأورد الكاتب كلام الكتاب المقدس وهو يصوّر ارتكاب داود عليه السلام لكبائر الذنوب، كما في حالة (بتشبع) حيث أضاف إلى خطيئة الزنا، جريمةَ القتل الوحشي المتعمد بدم بارد. ثم ينقل الكاتب أيضاً بعضاً من صورة داود عليه السلام في الكتاب المقدس فيقول: "وعندما لم يستطع داود أن يحصل على الدفء من كل الملابس التي كانت تغطيه بسبب كبر السنّ. تم التفكير أنه من المناسب البحث له عن فتاة عذراء صغيرة يمكن أن تعتني به وتنام معه، فطلب منهم أن يجلبوا له أجمل فتاة يمكن أن يجدوها"(6). وقد نقل الكاتب هذا الكلام للمقارنة بين ما ورد في كتب اليهود والنصارى عن داود عليه السلام وبين نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وعلّق عليه بقوله: "لا يرمي الناسَ بالحجارة من كان بيته من زجاج".

قلنا: هذا الكلام في اتهام نبي الله داود عليه السلام مردود جملة وتفصيلاً، فداود عليه لصلاة والسلام نبيٌ من أنبياء الله، والأنبياء معصومون من الوقوع في الكبائر، قال ابن تيمية رحمه الله: " فَإِنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ الْكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَجَمِيعِ الطَّوَائِفِ ... وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ بَلْ هُوَ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إلَّا مَا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ"(7).

وقد ذكر الله سبحانه نبيه داود عليه السلام في جملة الأنبياء الذين أُمر النبيُ صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، قال سبحانه: { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الأنعام: 84]. ثم قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: 90]. وهؤلاء الأنبياء –ومنهم داود– لم

1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج9/ 214).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص214).
3) الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، (ص137).
4) المرجع السابق، (ص125).
5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج29/ 376).
6) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص192).
7) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج4/ 39 بتصرف).

يُؤمرُ النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فحسب، بل أُمرَ أن يخصهم بالاقتداء دون غيرهم، قال أبو السعود: "{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} أي فاختصَّ هداهم بالاقتداء ولا تقتَدِ بغيرهم"(1). وقال الآلوسي: "{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} أي اجعل هداهم منفردا بالاقتداء واجعل الاقتداء مقصورا عليه"(2). ودلّ على هذا الحصر والاختصاص تقديم المعمول {فَبِهُدَاهُمُ} على العامل {اقْتَدِهْ}، قال ابن عاشور: "وَلِذَٰلِكَ قَدَّمَ الْمَجْرُور وَهُوَ { فَبِهُدَاهُمُ} عَلَى عَامِلِهِ، لِلِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الْهُدَى؛ لِأَنَّهُ هُوَ مَنْزِلَتُكَ الْجَامِعَةُ لِلْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا، فَلَا يَلِيقُ بِهِ الِاقْتِدَاءُ بِهُدًى هُوَ دُونَ هُدَاهُمْ"(3).

المطلب الثاني: أخطاء الكاتب فيما فيه شبهة ومدخل للطعن في الإسلام

وقع الكاتب في أخطاء كبيرة، ليست من جنس ما تقدّم، ولكنها خطيرةٌ حسّاسة، ربما تكون مدعاة للتشكيك في نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم، أو ربّانية القرآن، ويمكن تقسيم هذه الأخطاء إلى قسمين، ما أخطأ فيه الكاتب ولكنّه لم يجزم به، ولم يصرّح بأنه رأيه، بل نسبه إلى غيره. وما أخطأ فيه وجزم به، وعبّر عنه بلسان نفسه.

القسم الأول: ما أخطأ فيه الكاتب ولم يجزم به وكان فيه شبهة للطعن

قال الكاتب: "ولم يمكث الطفل كثيراً مع والديه بالتربية؛ حتى ظهرت مخاوفهم الخرافية عندما استيقظوا يوماً، ووجدوا علامة بين كتفي الطفل، فأرجعوها إلى وجودِ قوةٍ كامنة غير منظورة من الجنّ والشياطين، وعليه حملوا الطفل عائداً إلى أُمّه في مكة"(4).

قلنا: يشير الكاتب هنا إلى حادثة شق الصدر، وهي ثابتة في القرآن في قوله سبحانه: {أَلَم نَشرَحْ لَكَ صَدرَكَ} [الشرح: 1]. ولكنه يضيف بأنّ حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم وزوجها ظَنّا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أصيب بمسّ من الشيطان، وهذا ربما يتكئ عليه البعض؛ للادعاء بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان مُعرّضاً لاعتداءات الجن، متأثراً بمسّ الشياطين منذ صغره.

وما أورده الكاتب هنا ذكره ابن هشام في السيرة(5)، وابن كثير في البداية والنهاية(6)، وهذا نصّه: "قالت [آمنة] أتخوّفت عليه الشيطان؟ قالت: قلتُ: نعم. قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنيّ لشأناً، أفلا أخبرك خبره؟". فهذه آمنة أمّه صلى الله عليه وسلم تنفي نفياً قاطعاً أن يكون ابنها قد تعرّض لمثل ذلك، والأهم من ذلك، وفيه نفي هذه التّهمة؛ أن هذه الرواية ضعيفة واهية، لم تأتِ من طريق صحيح. قال ابن كثير في نهاية إيراده لها: "وهذا الحديث قد روي من طريق آخر، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي". علّق المحقق في هامش التحقيق بمراجعة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط: "على أنه ليس له إسناد صحيح"(7).

وما أورده الكاتب هنا ليس صريحاً في أنه يعتقد ذلك، بل إنّ عبارته تدل على العكس، حيث سمّى هذا الاعتقاد خرافة فقال: "ظهرت مخاوفهم الخرافية". ثم إنه نسبه إلى أبيه وأمه بالرضاعة، ولم يورده بلسان نفسه فقال: "فأرجعوها إلى وجودِ قوةٍ كامنة غير منظورة من الجنّ والشياطين".

وقال الكاتب: "وأقنعته الخبرة التي اكتسبها عن طريق هذه الموضوعات أكثر وأكثر بمدى سخافة وبدائية عبادة الأوثان، وأيضا منافاتها للعقل، وتأكد إلى أي مدى كانت خرافات أهل بلده مخزية ومشينة"(8).

---

1) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (ج3/ 160).
2) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (ج4/ 205)
3) بن عاشور، التحرير والتنوير، (ج7/ 355).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص49).
5) ابن هشام، السيرة النبوية، (ج1/ 87/86).
6) ابن كثير، البداية والنهاية، (ج3/ 56).
7) ينظر: المرجع السابق، (ج3/ 56).
8) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص53).

قلنا: لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مقتنعاً بسخافة عبادة الأوثان؛ بدليل أنه لم يفعلها، بل إنه لم يرتكب شيئاً مما كان عليه قومه من الكفر والفسوق والعصيان، قال الله تعالى مقيماً عليهم الحجة في ذلك: {أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون}، قال ابن كثير: " أَيْ: أَفَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مُحَمَّداً وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصِيَانَتَهُ الَّتِي نَشَأَ بِهَا فِيهِمْ، أَفَيَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ وَالْمُبَاهَتَةِ فِيهِ؟"[1]، وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهِمُّونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَيْهِمَا يعصمني الله منها"... الحديث[2]. ولكن ربما فُهم من كلام الكاتب أن النبوة التي أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم كانت شيئاً ذاتياً، وشعوراً داخلياً- نبع أمرٌ من نفسه جعله يقتنع بأنه يجب أن يكون نبيَّ قومه؛ ليخرجهم مما هم فيه، وأنها لم تكن بوحي من الله سبحانه. أي أنه بعد اقتناعه بسخافة عبادة الأوثان، ورفضه ما كان عليه قومه من ضلال؛ قرّر أن يكون نبيّا – حاشاه صلى الله عليه وسلم-. وهذا ما يسميه المستشرقون بـ(**الوحي النفسي**)، ويقصدون أن "الوحي إلهام يفيض من نفس النبي الموحَى إليه، لا من الخارج، ذلك أن منازع نفسه العالية، وسريرته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله، وبوجوب عبادته وترك ما سواه من عبادة وثنية، وتقاليد وراثية رديئة، يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلى في ذهنه، ويُحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحيّة، فيتصوّر ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك، يعتقد أنّه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك"[3]. وهذا –وإنْ لم يصرّح به الكاتب– ليس صحيحاً البتّة، فالوحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بإرادة الله تعالى، واصطفائه واجتبائه له، لا باختيار منه صلى الله عليه وسلم، وهو لم يكن ينتظر وحياً ولا نبوة أبداً، قال سبحانه: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} [القصص: 86]. قال الشوكاني: "مَا كُنْتَ تَرْجُو أَنَّا نُرْسِلُكَ إِلَى الْعِبَادِ، وَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ القرآن"[4]. وقال سبحانه:} قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} [يونس: 15]، قال ابن كثير: "أي: لَيْسَ هَذَا إِلَيَّ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ، وَرَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ"[5].

وقال الكاتب: "تمرّ الآن فترة خمسة عشر عاماً، والتي في أثنائها يظل تاريخ الرسول غامضاً مستغلقاً على الفهم، مثلها مثل الفترة الفاصلة التي عمل فيها المسيح في محل يوسف النجار. فترة مقدسة يُقال: إنّ الإنسان أو النبيّ فيها يساعد على ميلاد عبقريّته الخاصة مستعداً في صمت وتروٍ عن طريق التأمل للمهمة المقدسة التي ائتمنه عليها الله العليّ"[6].

قلنا: قول الكاتب عن هذه الخمسة عشر عاماً من: (خمسة وعشرين إلى الأربعين من عمر النّبيّ كانت غامضة مستغلقة على الفهم)، ربما يُفهم منها أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرّغ فيها للدراسة، أو مرّ بفترة تعلّم، أو التقى بالعلماء ورهبان أهل الكتاب، أو أنه كان يُعِدُّ نفسه للنبوة؛ وكأنها أمر مخطط له. وهذه المدة المذكورة ركّز عليها المستشرقون، وأكثروا فيها المزاعم والأباطيل في اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان يُعدّ نفسه، ويتجهّز لإعلان النبوة؛ فهذا المستشرق مونتجومري يقول: "كانت السنوات التي تلت زواجه؛ سنوات إعداد لعمله في المستقبل. ولم يُحفظ لنا شيء عنها يسمح لنا بإعادة تكوين مراحل هذا الاستعداد"[7].

وردّ مالك بن نبي بأنّ ذلك مجرد ظنّ وتخمين، وتحكّم بلا دليل؛ حيث قال: "والآن ما المعلومات التي لدينا عن عزلته خمسة عشر عاماً؟ ... هل كان يغرق في تأمل عميق في المشكلة الدينية؛ يقوده نوع من إلهام الدعوة المستقبلة؟ لقد أجاب المستشرق

1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج5/ ص484)

2) رواه أحمد بن أبي بكر البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب علامات النبوة. باب في تكفل الله عز وجل له بالعصمة، (ج7/55) حديث رقم 6365. وقال البوصيري: "حَدِيثٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ".

3) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ص119).

4) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (ج4/ 217).

5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج4/ 253).

6) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص56).

7) مونتجومري وات، محمد في مكة، (ص75).

الكبير (درمنجهام) عن ذلك بالإيجاب، ولكن هذه الإجابة فيما يبدو لنا؛ لا تعدو أن تكون تخيّلاً من المؤلف، لم يعتمد فيه –كما يظهر في تلك النقطة– على شهادة تاريخية غير قابلة للطعن والتجريح"(1).

فنقول: إنّ كان هؤلاء المستشرقون لم يحفظوا هذه السنوات من عمره صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يمكن أن يكون قد تلقى فيها تعليماً قطّ؛ فإنّ أهل مكة أنفسهم قد حفظوها وعرفوها. وقد ذكّرهم بها القرآن الكريم كدليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يونس: 16]، قال الواحدي: "قال الزجاج: أي قد لبثت فيكم من قبل أن يوحى إليّ لا أتلو كتابًا ولا أخطّه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليّ، إذ كنتم تعرفونني بينكم، نشأت لا أقرأ الكتب، فإخباري إياكم بأقاصيص الأولين من غير كتاب ولا تلقين يدل على أنه إنما أتيت به من عند الله جل وعز "(2).

ولكن في هذا الموضع كذلك لا يُلمِحُ الكاتب إلى تعلّم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة، وقد صرّح في موضع آخر من كتابه بعدم تلقي النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً نظاميًّا. بل إنه يقول بأنها فترة مقدسة يستعد فيها الإنسانُ النبيُّ بالتأمل؛ ليكون مستعداً بعدها للمهمة التي سيأتمنه الله عليها.

وقال الكاتب: "ولذلك يُقال إنه في كل عام كان يقضي شهراً في غار بجبل حراء على بُعد ثلاثة فراسخ غرب مكة، وهنا قيل إنه درس التوراة والإنجيل"(3).

قلنا: يورد الكاتب هنا شبهة دراسة النبي صلى الله عليه وسلم للتوراة والإنجيل، ولكنه لا يجزم بها، فتراهُ يُعبّر بـ"قيل". ومما يدل على أن الكاتب لا يعتقد ذلك؛ تأكيده مراراً على عدم تلقّي النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً في الجاهلية، وفي موضع آخر بيّن أن القول بتعلّم النبي من بعض أهل الكتاب هو رواية المسيحيين.

وأما نحن فنقول: إن آية [يونس: 16] التي مرّت آنفاً هي دليل كافٍ على كذب هذه الشبهة، يُضاف إليها قول الله سبحانه: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]، قال عبد الرحمن السعدي: "{مَا كُنْتَ تَدْرِي} أي: قبل نزوله عليك {مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ" (4)

القسم الثاني: ما أخطأ فيه الكاتب وجزم به وكان فيه شبهة للطعن

وفي هذا القسم، سنعرض لبعض الجمل التي كانت أكثر خطورة، وكان احتمال الطعن والتشكيك أيضاً فيها قويّاً بارزاً، وقد صرّح وجزم بها الكاتب، وليست من جنس (وقيل).

قال الكاتب: "لذلك لم يكن الذي وضعه محمد مجرد حجر، بل قواعد دين جديد، أصبح هو مؤسسه ورئيسه والبابا الأكبر له"(5).

قلنا: هذا التعبير الذي أطلقه (ديفنبورت) (أصبح هو مؤسسه) لا يُمكن أن يفهم به إلا نفي المصدرية الإلهية عن الوحي القرآني، والتشريع الإسلامي، وأنسنة كلّ ما يدعو إليه الإسلام باعتبار أنّه ناشئ وطارئ عن نفس النبيّ محمد، وقدّ مرّ سابقاً الردّ على شبهة الوحي النّفسي، وأنّه مثل هذه الإطلاقات تخالف الواقع والمنطق معاً، وقد قال الله تعالى في أمثال هذه الدعاوي: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14]

1) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، (ص131/130 بتصرف).
2) الواحدي، التفسير البسيط، (ج11/ 148:147).
3) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص57).
4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص762).
5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص53).

ثم يصف الكاتب النبي صلى الله عليه وسلم بأنه "البابا الأكبر" للإسلام، وهذا تشبيه خطير، وتشبيه مع الفارق الكبير جدّاً، فالنبي بصفة عامة ورسولنا صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة، يوحى إليه من ربه، ولا ينطق عن الهوى، فأين منصب البابا عند النصارى من هذا الاصطفاء والاجتباء الربانيّ؟ ثم إنّ رجال الكنيسة وعلى رأسهم "البابا" يغفرون الذنوب عند النصارى[1]، فهم يُشركونه مع الله جل جلاله في هذه الخاصية، وليس ذلك في الإسلام لأحد من الخلق، ولا حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: { وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: 135]. ففي الإسلام علاقة الأنبياء مع الله سبحانه ورتبتهم هي "رتبة التبعيّة، لا رتبة المعيّة"[2]. وبناء عليه لا صلة البتّة بين مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام وبين مكانة "البابا" عند النصارى. وحتى عند النصارى أنفسهم، لا تبلغ رتبة "البابا" رتبة النبي المُرسَل، بل هو خليفةُ خليفتِه –بزعمهم– قال محمد أبوزهرة: "ولأنّ البابا خليفة لبطرس الرسول، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا للحواريين من بعده، فالبابا على هذا الأساس خليفة للمسيح ينطق باسمه، ويتكلم بخلافته، وينفذ سلطانه، ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح"[3].

قال الكاتب: "ولكن من المؤكد أنّه في لحظة الوحي كان القلق يضغط عليه، وكان الاضطراب يملأ ملامحه، فكان من الممكن أن يسقط على الأرض كأنه نشوان أو غلبه النّعاس، وحتى في أكثر الأيام برودة كان جبينه يتصبب بقطرات العرق الكبيرة". وقال أيضاً: "ونكرر التأكيد كثيرا أن محمدا كان عرضة لنوبا تُشبه الصّرع، وكان هذا منطلق كلام اليونانيين الملفّق الذين كانوا ينسبون حدوث هذه المشاعر الرهيبة لرسول بعقيدة جديدة على أنها وصمة في شخصيته الأخلاقية تستحق الازدراء والاستنكار والخروج من زمرة الأبرار في العالم المسيحي"[4].

قلنا: بعض الأوصاف التي ذكرها الكاتب عن حال النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي صحيحة، وبعضها غير صحيح، بل خطير جداً. أما الصحيح منها فهو أنه كان يتصبب عرقاً عندما ينزل عليه الوحي، فقد أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ قَالَ: كُلُّ ذَاكَ يَأْتِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، وَيَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"[5].
وأما كونه صلى الله عليه وسلم كان يقع على الأرض، فهذا لم يحدث إلا مرة واحدة فقط، ولم يتكرر معه صلى الله عليه وسلم، وتلك المرة كانت عند رؤيته جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية بين السماء والأرض، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث جابر: قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجُئِثْتُ[6] مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي..."[7] الحديث.

وأمّا كونه كان يُصاب بالنّعاس، أو يتعرض لنوبات تُشبه الصرع، فهذه أوصاف غريبة مُنكرة، لم ترد مطلقاً، وليست صحيحة أبداً. وثمة ألفاظ أخرى وردت في وصف حال النبي صلى الله عليه وسلم عند الوحي غير ما سبق؛ مثل: "البرحاء"، وذلك في صحيح البخاري من حديث عائشة، في قصة الإفك: " فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ

1) ينظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، (ص156 وما بعدها).
2) أبو حامد الغزالي، الأربعين في أصول الدين، (ص213).
3) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، (ص155).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص59).
5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، (ج1 /6)، حديث رقم 2
6) المجثوث والمجؤوث جميعاً: المرعوب الفزع. ينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلّام، غريب الحديث، (ج2/ 199).
7) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، (ج116/4)، حديث رقم 3238.

شَاتٍ"(1). وفي حديث آخر "الرّحضاء"، وذلك في البخاري كذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ، تُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ. وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ..." الحديث(2)، فهذان وصفان آخران لحال النبي صلى الله عليه وسلم: "البرحاء" و"الرحضاء". ومعناهما كما قال أبو عبيد: "فَإِذا عَرِقَ فَهِيَ الرُّحَضَاء ... فَإِذا أَصَابَته الْحمى الشَّدِيدَة قيل: أَصَابَته البُرحاء"(3). فهذه الأوصاف الواردة في الوحي، وليس منها ما قاله الكاتب. وهذه المسألة في غاية الأهمية، حتى لا يظنّ ظانّ أن الوحي كان نوعاً من أنواع الأمراض، كالصرع. أو حالة من حالات ضعف الإنسان كالنّعاس، أو حالة السُكارى كالنشوان –حاشاه صلى الله عليه وسلم–.

وقال الكاتب: "ونعلم من البخاري الرحالة الشهير"(4)، ومثل هذا الوصف "الرحالة" لا يليق بالإمام العَلَم محمد بن إسماعيل البخاري، وربما فُهم منه أنّ أصح كتاب بعد كتاب الله وهو: "صحيح البخاري"؛ كان مؤلفه مجرّد "رحّالة"؛ يسيح في الأرض؛ يصف المعالم والمباني، وينقل عادات الناس، وأعراف الأمم. ولكن الإمام البخاري مع كونه رحل إلى بلاد كثيرة سنوات عديدة، إلا أن ذلك كان طلباً للعلم، قال رحمه الله: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم؛ من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر"(5)؛ فرحلات الإمام البخاري كانت لسماع الرواية ولقاء الشيوخ، وليست للسياحة، حتى صار "شيخ الإسلام وإمام الحفاظ"(6)، وصار: "إِمَام الْمُسلمين وقدوة الْمُوَحّدين وَشَيخ الْمُؤمنِينَ والمعول عَلَيْهِ فِي أَحَادِيث سيد الْمُرْسلين وحافظ نظام الدّين"(7) فهذه الأوصاف اللائقة بهذا الإمام العظيم، وهذا دوره في تاريخ المسلمين، وليس مجرّد "رحّالة" كما قال الكاتب.

وقال الكاتب: "إنّ محمداً إنسانٌ خاصّ، نظرت له أسرتُه كرسول"(8).

قلنا: هذه جملة خطيرة، يُفهم منها أن أسرةَ النبي صلى الله عليه وسلم فقط هي من نظرت إليه كرسول، وأمّا وسائر قومه صلى الله عليه وسلم لفم ينظروا إليه كذلك، مما يعني أن النبوة كانت مخططاً عائليّاً، أو كانت محاولة من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لرفعِ مكانةِ عائلته، وتحصيلِ شرفٍ لأسرته، وهذا باطل من وجوه:

أولاً: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، وهم أشرف قريش بيتاً وأطهرهم أصلاً، فهو ليس بحاجة لشيء يرفع به شأن أسرته، وقد قال أبو سفيان بعدما سأله هرقل: "كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ"(9).

ثانياً: أن اثنين من أعمامه ماتوا على الكفر، ولم يدخلوا الإسلام، أحدهم عاداه وآذاه وهو "أبو لهب"، وفيه أنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ*مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد: 1– 3] ، والثاني نصره وآواه، ولكنه مات كافراً كذلك، وهو "أبو طالب". وفيه أنزل الله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56]، قال ابن

1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهنّ بعضاً، (ج3 /173)، حديث رقم 2661.
2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الزكاة. باب الصدقة على اليتامى، (ج121/2)، حديث رقم 1465.
3) أبو عبيد، غريب الحديث، (ج4/ 413 بتصرف يسير).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص72).
5) ابن الجوزي، صفة الصفوة، (ج2/ 345).
6) الذهبي، تذكرة الحفاظ، (ج2/ 104).
7) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (ج2/ 212).
8) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص115).
9) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. (ج4 /45) حديث رقم2940.

عطية: "أجمع جلّ المفسرين على أنّ قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} إنما نزلت في شأن أبي طالب، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]"، فكيّف نقول: إنّ أسرته نظرت إليه كرسول، وإنّ اثنين من أعمامه ماتا على الكفر.

ثالثاً: أنّ الأوائل الذين صدّقوا النبي صلى الله عليه وسلم واتبعوه، كانوا ضعفاء الناس، أي أنهم ليسوا من بني هاشم، بل كانوا من عائلات أخرى، وأُسر أخرى، وهذا أمرٌ معروف مشهور، وقد اعترف به أبوسفيان كذلك بين يدي هرقل، لما سأله: "فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ"[2].

وقال الكاتب: "إنّ هذا الدين يبدو أقلّ تعارضًا مع العقل من عقيدة الغموض والخرافة التي شوّهت بساطة الإنجيل في القرن السابع"[3].

قلنا: بل إنّ ديننا الحنيف يخلو تماماً من التعارضات والتناقضات، ومخالفة المعقول والمنطق، وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاباً حافلاً في نفي التعارض بين العقل والنقل، ومما جاء فيه: "الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل، وليس منه"[4].

والتعارض الذي يزعمه البعض إنما جاء من قصور عقولهم ومحدودية تفكيرهم، لا من ذات الدين العظيم ومصدريه الأساسيين؛ الكتاب والسنة. نعم، قد يأتي في الدين بعض المسائل التي تحتاج إلى قوةِ عقلٍ، وإعمالِ فكرٍ وصفاءِ ذهنٍ، وهذا –لمن تأمل– من مفاخر الشريعة، فهو يدل على أنها شريعة قوية غنية عميقة، وليس خفيفة سطحية، وقد قال علماؤنا: "الشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ"[5]. ولذلك ألف العلماء الكبار كُتُباً في توضيح وبيان ما وُصف بالتعارض والتناقض، سواء كان في القرآن ككتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة. أو في السنة ككتاب "شرح مشكل الآثار" لأبي جعفر الطحاوي.

وقال الكاتب: "الحقيقة هي أنّ (رحلة الليل) قصة مجازيّة سهلة الشرح والتفسير، ولذلك (البراق) يرمز إلى (البرق)، ويعتقد أنه يتحرك أسرع من التيار الكهربائي, وسلم النور الذي صعد عليه جبريل ومحمد إلى السماء؛ كل هذا كان عملية تأمل روحي به نمرّ عبر كل السموات إلى عرش الله"[6].

قلنا: بل إن رحلة النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج كانت انتقالاً حقيقياً بالجسد والروح، وليس قصّة رمزية كما قال الكاتب، وهذا هو قول جماهير المسلمين، قال النووي: "وَالْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ وَمُعْظَمُ السَّلَفِ وَعَامَّةُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ صلى الله عليه وسلم، وَالْآثَارُ تَدُلُّ عَلَيْهِ لِمَنْ طَالَعَهَا وَبَحَثَ عَنْهَا، وَلَا يُعْدَلُ عَنْ ظَاهِرِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا اسْتِحَالَةَ فِي حَمْلِهَا عَلَيْهِ فَيُحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ"[7]. وقال القاضي عياض: "وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحقّ"[8]. ولو كانت قصة رمزية أو مناماً لما كذّبه المشركون، وطالبوه بدليل على صدقه؛ بأن يصف لهم بيت المقدس. فقد أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ

1) ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج4/ 292).
2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب: الجهاد والسير. باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. (ج4/45) حديث رقم2940.
3) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص156).
4) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (ج2/ 364).
5) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (ج578/2).
6) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص195).
7) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ج2/ 209).
8) القاضي عياض، الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، (ص238).

وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ"(1).

وقال الكاتب بعد ذكر لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل، وقول جبريل له: "محمد، أنت رسول الله الأعلى، وأنا الملاك جبريل"، قال: "إذا كنا نعتبر وبكافة الطرق أنه من غير الشائع بالنسبة للعقل وهو في حالة وحدة أن يجسد ويصور أطياف الخيال، ثم يُخطئ في الصور التي خلقها، ولا يميّز بينها وبين الكائنات المطلقة؛ علاوة على ذلك فالرجال وأحياناً النساء ذوو أقوى العقول والأفكار يكونون بصفة خاصة معرضين لمثل هذه الانطباعات؛ كما في حالة شبح "قيصر" في خيمة "بروتس". وكذلك الشبح الضخم الذي تنبأ بعظمة "كروميل"، وفي أوقات تالية "مولينوس"، ومدام "جيون"، و"سويدنبرج"، ومدام "كرودز". ومن هنا يصبح الاحتمال الأكبر هو أنّ محمداً بعيد تماماً عن اتهامه بالزيف عند إعلانه بعد ذلك أنّ الملاك جبريل أمره أن يتولى، ويتعهد مهمته ورسالته النبوية، فقد كان محمد في الحقيقة وبوعي يؤمن بنفسه أنه الرسول الموحَى إليه من الله"(2).

وحتى نفهم هذه الفقرة فهماً صحيحاً، سنجزؤها إلى ثلاثة أجزاء:

الأول: قوله: "إذا كنّا نعتبر وبكافة الطرق أنه من غير الشائع بالنسبة للعقل وهو في حالة وحدة أن يجسد، ويصور أطياف الخيال، ثم يُخطئ في الصور التي خلقها، ولا يميّز بينها وبين الكائنات المطلقة."

ينفي الكاتب هنا أن يكون ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم طيف خيال، ويُخبر أنه من غير الشائع أن يرى الإنسان صوراً وهمية في حالة اليقظة، ومن غير الممكن أن يرى أموراً تختلف عما بناه في تصوراته، ومن الغريب كذلك ألا يميز بين الخيال والحقيقة.

وحتى هذه النقطة نستطيع أن نقول بأن كلامه صحيح، لا غبار عليه؛ وهو يتوافق مع حقيقة الوحي عند المسلمين، فجبريل عليه السلام لم يكن طيف خيال، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتخيّل. ولكن الكاتب أغفل أمراً هامّاً في هذا اللقاء الأول بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام، وهو ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فأخذني فغطّني حتى بلغَ منّي الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ"(3). فهذا الفعل من جبريل عليه السلام لم يكن عبثاً، ولكن؛ ثمة هدف من ورائه، وهو تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مستيقظ وليس نائماً، وأنّ ما يراه ويشعر به حقيقة وليس خيالاً.

الثاني: قوله بعد ذلك: "علاوة على ذلك فالرجال وأحياناً النساء ذوو أقوى العقول والأفكار يكونون بصفة خاصة معرضين لمثل هذه الانطباعات؛ كما في حالة شبح (قيصر) في خيمة (بروتس)، وكذلك الشبح الضخم الذي تنبأ بعظمة (كروميل)، وفي أوقات تالية (مولينوس)، ومدام (جيون)، و(سويدنبرج)، ومدام (كرودز)".

في هذه الجزئية من الفِقرة، يقول الكاتب بأن أصحاب العقول القوية –يقصد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحد هؤلاء؛ لأنه وصفه بذلك من قبل– ربما تعرضوا لمثل هذه "الانطباعات"! وهذه الكلمة تُشعر أن ما يتكلم عنه شيء ينطبع في الذهن من غير وجود له في الحقيقة. ثم يذكر بعض الشخصيات الأوروبية التي ذُكر في سيرتهم أنهم شاهدوا شيئا من الخيالات والأشباح وما شابه.

فإنْ كان يقصد أنّ ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم، كالذي رآه هؤلاء؛ فقوله مردود مرفوض؛ لأنّ الوحي حقيقة لا خيال، وجبريل ملك لا شبح، وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى بصورة رجل، وذلك لا يُشبه أبدا ما يُروى أنه رآه المذكورون من خيالات وتصورات وأشباح.

---

1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، (ج156/1)، حديث رقم 278.

2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص60–62).

3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى{، (ج173/6)، حديث رقم4953.

الثالث: قوله بعد ذلك: "ومن هنا يصبح الاحتمال الأكبر هو أنّ محمداً بعيد تماماً عن اتهامه بالزيف عند إعلانه بعد ذلك أن الملاك جبريل أمره أن يتولى، ويتعهد مهمته ورسالته النبوية، فقد كان محمد في الحقيقة وبوعي يؤمن بنفسه أنّه الرسول الموحَى إليه من الله". وفي هذه الجُزئية يُصرّح الكاتب أنّ الاحتمال الأكبر هو كون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا في ادعائه بأنّ جبريل أبلغه بمهمته النبوية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان متأكدا من ذلك تماماً.

وههنا كلام الكاتب مُشكِل، فربما قصد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى جبريل حقيقةً، وليس خيالاً، أو يقصد أن النبي صلى الله عليه وسلم، رأى شيئا بالفعل، وهو صادق في ذلك، ولكن ما رآه كان طيفاً أو انطباعاً نشأ من ذاته ظنّ أنه الملك جبريل. وهو ما أشرنا إليه قبلُ بالوحي النفسي. وهذه الفكرة التي أراد المستشرقون تفسير الوحي من خلالها، بهدف استبعاد فكرة الوحي والملك المُرسَل من الله، وبالتالي نفي نبوة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول محمد رشيد رضا: "يقول هؤلاء الماديون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، وإنما نقول إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب"[1]. وهذا أمر باطل للأسباب الآتية:

أولاً: أن ما يتحدثون عنه من الوحي النفسي النابع من ذات الإنسان لا يُنتج يقيناً كاملاً عند صاحبه، بل شكوك وظنون وتوجسات لا ترقى إلى درجة العلم، بينما "يقين النبي صلى الله عليه وسلم كان كاملاً، مع وثوقه بأنّ المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة وخارجة عن ذاته"[2].

ثانياً: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تلقّى أمرا بالقراءة في لقاءه مع جبريل، وهو صلى الله عليه وسلم أُمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فـ"هل يمكن للاختلاط أو الهلوسة أن تؤدي أصواتا؟"[3]، وتكون تلك الأصوات مناقضة لما يعلمه من نفسه، أبدا. ولكن الحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان "يشاهد ويشاهد فحسب"[4].

ثالثاً: أنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلاحظون تغيّراً مُفاجئاً يحدث لوجه النبي صلى الله عليه وسلم، كما مرّ معنا عند حديثنا عن "الرحضاء" و "البرحاء"، ووصف عائشة له من تصبب عرقه في الليلة الباردة المطيرة، فهل كان يفتعل ذلك بنفسه؟ أم أن من الطبيعي أن يحدث مثل هذا لمن يسمع أفكاراً ذاتية شخصية داخلية؟

رابعاً: أن ما جاء به القرآن الكريم من معلومات تاريخية ليس مجرد "تعميمات غامضة، ولكنها معلومات محددة تضم تفاصيل هامة عن تاريخ الوحدانية"[5]. وما جاء به من مضامين دينية، ونظم أخلاقية، وقوانين مدنية، وأحكام تشريعية، وتوجيهات حياتية "أكبر وأعظم من كل ما في الكتب الإلهية، ما صح منها وما لم يصح"[6]، فهل حصل ذلك كلّه للنبي صلى الله عليه وسلم بالوحي النفسي.

المبحث الثالث: ما يدفع لحُسن الظنّ بالكاتب

المطلب الأول: إنصاف الكاتب في قضايا مهمة كانت مدخلاً للطعن عند غيره

من الأمور البارزة في هذا الكتاب، التي تجعل المسلم يُحسن الظن بالكاتب، أنه يقف على بعض الأحداث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ كانت موضوعات للمستشرقين والطاعنين في الإسلام، ولكننا نجده يذكرها بالرواية الصحيحة، وتفاصيلها الحقة، دون زيادة أو نقصان، ودون تساؤلات خبيثة، وتلميحات ماكرة يُقصد منها التشكيك والطعن. وليس الكلام هنا عن عرض الشبهة ثم تفنيدها كما مرّ معنا سابقاً، ولكننا نتحدث عن المصداقية والموضوعية والشفافية في عرض الوقائع، دون مراوغة وطعن.

1) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ص119).
2) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، (ص161).
3) المرجع السابق: (ص170).
4) المرجع السابق: (ص171).
5) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، (ص177).
6) رضا محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ص157).

وقبل أن نبدأ بعرض كلام الكاتب، إليك بعض الأمثلة على تلك الطعون الخفية التي يوجهها المستشرقون، ومن ذلك ما كتبه مونتجومري وات في كتاب (محمد في مكة)، وهو يتحدث عن قرابة خديجة من ورقة بن نوفل، فيقول: "كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يُدعى ورقة بن نوفل بن أسد؛ وهو رجل متدين اعتنق أخيراً المسيحية. ولا شك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره، ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئاً من حماسه وآرائه"(1).

فتأمل قوله: "ولا شك أن خديجة قد وقعت تحت تأثيره (ورقة)"، وقوله: "ويمكن أن يكون محمد قد أخذ من حماسه وآرائه شيئاً". تأمّل في هذه التساؤلات الخبيثة، ولا تغفُل عما يرمي إليه هذا الرجل، من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تعلم القرآن من ورقة بن نوفل. فهذا دأب القوم وهذا ديدنهم؛ إذ يتحيّنون الفرص، ويتصيّدون في هذه المواضع من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليُظهروا لنا سوء نيتهم، ويُخرجوا لنا بعض ما تمتلئ به صدورهم من حقد دفين، وعداء للدين.

هذه طعناتهم الخفية، وأساليبهم الخبيثة. وهذه المحاولات لا تُخطئها عينُ من خَبَرهُم وعرفهم، فنسأل الله تعالى أن يبصرنا بحقيقتهم، ويكشف لنا عن خباياهم وخفاياهم. ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، ما كتبه نولدكه مشككاً في روايات جمع عثمان، ومصحف عثمان، حيث يقول: "في العنوان، دعوت هذا التقليد الذي عرضت مضمونه أعلاه، تقليداً (سائداً)؛ لأنه هو الأكثر انتشاراً في الأدب، والحديث، وتفاسير القرآن، والأعمال التاريخية، أما التصديق الظاهري على صحته فليس قوياً"(2).

وأما الكاتب "جون ديفنبورت" فهذه بعض أقواله في القرآن وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام:

أولاً: يقول: "بالنسبة للتعليم المكتسب بالمعنى الشائع والمقبول للكلمة، من المسلَّم به أن محمداً لم يتلقى تعليماً نظامياً على الإطلاق، ولم يحصل على تعليم آخر أكثر مما هو معتاد في قبيلته التي كانت تهمل وربما تزدري ما نُطلق عليه الآداب؛ كالمسرح والقصة، ولا يُقّدرون أي لغة بالمقارنة بلغتهم ومهارتهم التي اكتسبوها بالممارسة أكثر من الكتب"(3).

قلنا: في هذا الموضع ينفي الكاتب تلقي النبي صلى الله عليه وسلم أيّ تعليم نظامي، وهو بذلك لا يوافق قول القائلين بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب علم، أو تلقّى العلم من بعض أهل الكتاب؛ كورقة بن نوفل، وعبد الله بن سلام، والراهب بحيرا وغيرهم. بل يؤكد على أميّة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي إحدى الركائز المهمة في إثبات ربانية القرآن، قال سبحانه: {وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ} [العنكبوت: 48]

ثانياً: "أثناء حياة محمد كان القرآن يُحفظ في صُحُف مبعثرة فقط، ثم كان خليفته أبو بكر أول من جمع هذه الأوراق في مجلد واحد؛ ليس فقط من سعف النخيل والجلود وعظام كتف الضأن؛ حيث كانت الآيات تُكتب، ولكن أيضاً من أفواه من حفظوه عن ظهر قلب، وعندما اكتملت المخطوطة، عهد إلى حفصة بحفظها، وهي بنت عمر وإحدى زوجات النبي، وبقيت النسخة لديها ليتم استشارتها والرجوع إليها كأصل.

كان هناك اختلاف بدرجة ملحوظة بين النُسخ المتعددة التي تم نشرها بالفعل إلى الدول المختلفة؛ ولهذا السبب قام عثمان أحد خلفاء أبي بكر بجمع عدد كبير منها في العام الثلاثين للهجرة، وتم مضاهاتها، ومراجعتها بالنسخة الموجودة عند حفصة، وفي نفس الوقت التخلص من النُسخ التي لا تتطابق مع الأصل"(4).

فتأمل كيف يصف الكاتب جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر وزمن عُثمان بموضوعية وإنصاف، دون أي تلميح خبيث فضلاً عن الطعن والتشكيك. وأنت خبير بأن هذا الموضوع بالذات قد أجلب فيه المستشرقون بخيلهم ورجلهم، محاولين النيل من

1) مونتجومري وات، محمد في مكة، (ص74/75).
2) نولدكه، تاريخ القرآن، (ص281).
3) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص56).
4) المرجع السابق، (ص131).

صحة القرآن وإثبات تحريفه بالزيادة والنقصان. ثم قارن بين كلام الكاتب هنا وبين ما كتبه شيخ المستشرقين الألمان (نولدكه) مثلاً في حديثه عن هذا الموضوع، حيث قال: "وتم إرسال النسخ إلى المقاطعات المختلفة، لتكون نُسخاً معيارية. ثمّ أبيدت المجموعات الأقدم. كما يبدو، وافق الناس على هذه التدابير بمحض إرادتهم، أما الكوفيون بقيادة ابن مسعود، فقاوموها"[1]، فهو يقول: "أما الكوفيون بقيادة ابن مسعود، فقاوموها"، هذا ما نقصده بالطعن والتشكيك وإثارة الشبهات، ولكن الكاتب "جون ديفنبورت" قد خلا كلامه في جمع القرآن الكريم من مثل هذه العبارات.

ثالثاً: يقول: "لم يتدخل الإسلام في تعاليم أي دين على الإطلاق، كما لم يضطهد أبداً، أو يُنشئ محاكم تفتيش على العقيدة، وأيضا لم يهدف إلى فرض التحول إلى الدين الجديد، لقد عرض الدين الإسلامي نفسه، ولكنه لم يفرضه بالقوة أبداً {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256]"[2].

ينفي الكاتب هنا أيَّ تهمة حول نشر الإسلام بالعنف والسيف والإكراه، وهو ما دأب الطاعنون يروّجونه؛ لإقناع الناس بأن هذا الانتشار الواسع لدين الإسلام لم يكن طوعًا، ولا لأنه الدين الحق الذي يتوافق مع العقل والفطرة، ولكن لأنّ المسلمين فرضوه على الشعوب بالحديد والنار، والقوة والإجْبار.

رابعاً: يقول: "فيما يتعلق بالأسباب الفسيولوجية علق (مونتسيكيو) الشهير ملاحظاً أن النساء في الأجواء الحارة يكون لديهنّ قابلية للزواج في سنّ الثامنة أو التاسعة أو العاشرة"[3].

وفي هذا الموضع يُجيب الكاتب على شبهة دون إيرادها، وهي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة وهي بنت تسع سنين، وهي شُبهة ما زال يمضغها الحاقدون من أعداء الدين حتى هذه الأيام. فيبيّن أن نضوج الإناث في البلاد الحارة –وعلى رأسها الجزيرة العربية– يكون أسرع منه في البلاد الباردة، ويكون هذا النضوج المبكر في سنّ الثامنة أو التاسعة أو العاشرة.

فهذا أمر إضافي كذلك يجعلنا نحسن الظنّ بالكاتب؛ لأن هذه القضايا –كما بيّنّا– لا يمرّ عليها الطاعنون مرّ الكرام، ولكنهم يبثون سمومهم من خلالها، ولكن هذا الكاتب لم ينتهج نهجهم، بل كان حاله الموضوعية والإنصاف والشفافية.

المطلب الثاني: تلميح الكاتب إلى نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن تعرفنا على كثير من عبارات الكاتب حول النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، ونقلنا محاولاته في الدفاع عن الإسلام، مع التنبيه على ما أصاب فيه وما أخطأ، يبقى السؤال المتبادر إلى الأذهان: هل صرّح الكاتب بنبوّة النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فالجواب على ذلك أنه كثيراً ما كان يلمِح إلى نبوته صلى الله عليه وسلم، وعباراته في ذلك تتفاوت في وضوحها وصراحتها، فأحياناً تكون قوية، وأحياناً أخرى ضعيفة، وأحياناً ثالثةً بَين بَين. فمرة تجده ينفي كون وجود النبي صلى الله عليه وسلم صدفة، ولكنه بتدبير الله سبحانه، فيقول: "وأن ينسب البعض وجوده (النبيّ) إلى مجرد الصدفة العمياء، فهذا يجعلنا نشك في قوة عناية الله المهيمن وحُسن تدبيره"[4]. ويشير في موضع آخر إلى أن موسى وعيسى عليهما السلام، قد بشّرا بنبي المستقبل، وذكروا أسماءه وصفاته، وهذه النبوة قد تمت واكتملت، فيقول: "إن عقيدة موسى والمسيح تميزن بتأكيد كبير على نبي المستقبل وصفاته التي كانت أكثر وضوحا منهم بأنفسهم، وتنبأوا به بالاسم؛ بالإضافة إلى وعد مبشري وكاتبي الأناجيل الأربعة، بظهور (البارقليط) أو

1) نولدكه، تاريخ القرآن، (ص280).
2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص149).
3) المرجع السابق، (ص217).
4) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص40).

(الروح القدس) و(المعزى)[1]، وقد تمت واكتملت النبوة في شخص آخر وأعظم أنبياء الله"[2]. ويؤكد أحياناً بأن العناية الإلهية هي التي أقامت دين محمد، فيصف الإسلام بأنه: "واحد من أقوى الأديان التي أقامتها العناية الإلهية"[3].

وأحياناً ينفي الكاتب كون النبي صلى الله عليه وسلم مخادعاً منتحلاً، أو مُدّعياً كاذباً؛ مما يستلزم كونه صادقاً في دعواه النبوة حيث قال: "لنا أن نتساءل؛ هل يمكن لرجل أنجز هذه الإصلاحات العظيمة الدائمة أن يكون مجرد مخادع؟ وأن حياته كانت مجرد نفاق؟ وأنه كان واعياً لهذا الزيف طوال حياته؟ كلا بالتأكيد"[4].

ويتساءل في الصفحة التالية، وهذه من أصرح عباراته فيما نحن بصدده، يقول: "لماذا لا يمكن أن نعتبر محمداً لا يقل عن خُدّام الله المخلصين؟ لماذا لا نعتقد أنه كان في عصره وبلده واعظا بالحق والاستقامة، تم إرساله ليعلم قومه توحيد واستقامة الله؟!"[5]، وهذا كما قال الله سبحانه: {قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعا مِّنَ ٱلرُّسُلِ} [الأحقاف: 9]، قال ابن جرير: " يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم"[6].

فهذه المواضع المتعددة من كتاب دفاع واعتذار لمحمد والقرآن) تدل بشكل قاطع جازم أنّ الكاتب لم ينظر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم على أنه رجل كاذبٌ أو مدّعٍ أو ملفق مخادع؛ كما يحاول أن يُفهم غيره من الكتاب الغربيين بطريقة أو بأخرى. وفيها كذلك التلميح القوي جدّاً؛ لاعتقاده بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكننا لا نستطيع الجزم بهذه؛ لأنه لم يبلغنا عن الكاتب دخوله الإسلام. ولا صرّح هو في كتابه بذلك؛ فمع كل هذا الإنصاف والتأييد لم نجد في كتابه عبارة: وعليه فأنا "أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله". ويبقى العلم عند الله في حال الرجل في سرّه، وما ختم به عمره.

الخاتمة

يمكن إجمال نتائج هذه الدراسة في النقاط الآتية:

أولاً: ناقش الكاتب الإنجليزي جون ديفنبورت في كتابه (دفاع واعتذار لمحمد والقرآن) بعض القضايا المتصلة بالحياة الشخصية والنبويّة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، وبعض المسائل المتعلقة بالقرآني من حيث وحيُه وجمعه.

ثانياً: أكثر الكاتب من مدح النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم في ثنايا كتابه، ولكن لا يجوز أن يُحمل المدح في شخص النبي عليه الصلاة والسلام بفصل صفاته عن صفة النبي الموحَى إليه من الله ربّ العالمين. وكذلك لا يجوز البتّة حمل مديحه لجمال النظم القرآني على أنّه قطعة من الأدب الفني الصادر عن نفس النبيّ.

ثالثاً: اتّسم الكتاب بالموضوعية والإنصاف والشفافية، دون تعصّب أو تحيّز في مواضع، وفي مواضع أخرى كان يجب على الكاتب السير مع الحقّ حيث هو في مصادره الصحيحة الأصيلة مثل موضوع أعراض الوحي في حالة صلصلة الجرس.

رابعاً: كان من الواجب في أمثال هذه الدراسات التي تدل بعناوينها على (الموضوعيّة) في البحث أن يخرج الباحث بنتائج صريحة؛ فثمّة عبارات ألمَح الكاتب من خلالها بشكل قوي إلى نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يصرّح بها.

خامساً: هاجم الكاتب تاريخ المسيحية بقوة، وانتقد النصوص الدينية في الكتاب المقدس؛ لمخالفتها قواعد الفطرة والمنطق والعقل والخلق.

---

1) هذه المسمّيات والأوصاف التي أوردها الكاتب، ما زالت موجودة إلى الآن في العهد الجديد من الكتاب المقدس، والمقصود فيها هو النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم، كما أشار الكاتب. ينظر: أحمد السّقّا: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، (ج2/268 وما بعدها).

2) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص140).

3) المرجع السابق، (ص157).

4) المرجع السابق، (ص198).

5) ديفنبورت، دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، (ص199).

6) ابن جرير، جامع البيان (ج22 /97)

سادساً: يرجع سبب وقوع ديفنبورت في الأخطاء –حتى في القضايا التي ظنّ أنّه يدافع فيها عن (النبيّ والقرآن)– إلى الاعتماد على المصادر الغربيّة في تحليل شخصية النبيّ مثل وصف حالة الوحي بالصرع، أو الوحي النّفسي.

سابعاً: النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم نبيٌّ يوحى إليه من السماء، ومصلح اجتماعيّ في الوقت نفسه، ومدحه بالثانية دون الأولى غير مقبول البتّة؛ لأنّ ذلك يتعارض مع القرآن الكريم نفسه الذي هو آية النبوة، وكتاب الهداية، وقد قال تعالى مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [الأنعام: 92].

ثامناً: العبارات التي دلت بظاهرها على إقرار ديفنبورت وأمثاله من الكاتبين الغربيين –الذين زعموا الإنصاف في الدراسة– بالنبوّة لسيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام–لا يمكن الحكم لهؤلاء أنهم قد دخلوا في الإسلام، وإنْ لم يُصرحوا بذلك. والسبب في هذا هو التعارض بين هذه العبارات وبين ما ورد على ألسنتهم في مسألة الوحي النفسي على وجه الخصوص. وعلى هذا الأساس يمكن تعليل هذه العبارات بتحليل ديفنبورت للنبوة المحمدية في كونها قناعة ذاتية له، وليست رسالة من السماء نزل بها الوحي، أو أنّها نبوة حقيقية ولكنها نبوة لبيئة خاصة، ولقوم محددين أي أنّها نبوة خاصة بالعرب لا يلزم غيرهم –وخاصة أهل الكتاب– الإيمان بها.

التوصيات:

بعد دراسة كتاب من كتب المستشرقين بصورة معمقة، يوصي الباحثان بما يلي:

أولاً: أهمية الاعتناء بكتب المستشرقين حول القرآن وعلومه، وتوجيه الباحثين إلى بذل الجهود في دراستها ونقدها.

ثانياً: الحذر الشديد من عبارات المستشرقين وكلامهم، والتدقيق فيها جيداً؛ لأنّها في كثير من الأحيان تكون مخادعة.

ثالثاً: عدم الاغترار بما يكيله المستشرقون من مدائح للإسلام، وكتابه، ونبيّه صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: عدم الاغترار بعنوان أيّ كتاب من كتب المستشرقين، مهما كان ظاهره معبراً عن الإنصاف والموضوعية؛ لأنّ هذه الكتب وإن خلت من التحريف المتعمد للحقائق، إلا أنها لن تخلو من أخطاء علمية، مردّها إلى اعتماد أصحابها على مراجع غربية تعمدت التحريف، وجانبت الشفافية.

خامساً: أهمية البحث عن مستشرقين منصفين بالجملة كالكاتب "جون ديفنبورت"، والعمل على التعريف بهم وبمؤلفاتهم، مع التنبيه على أخطائهم.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. (1415هـ–1994م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن المبارك. (د.ت). النهاية في غريب الحديث والأثر. د.ط. بيروت: المكتبة العلمية.

إدريس، حامد محمد. (1427هـ–2006م.) آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي عرض ونقد، (ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية–المدينة النبويّة)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع الصحيح. ط1. بيروت: دار طوق النجاة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1409هـ). معالم التنزيل. د.ط. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. د.ط. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البوصيري، أبو العباس، أحمد بن أبي بكر. (1420هـ–1999م). إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

البيروتي، محمد بن طاهر .(1414هـ–1993م). العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1. بيروت–القاهرة: دار عمران –مكتبة الزهراء.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر. (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (1408هـ–1988م). دلائل النبوة. وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية – ودار الريان للتراث، ط1. 1408هـ/ 1988م.

البيهقي، أحمد بن الحسين.) 1423هـ–2003م). شعب الإيمان. حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبدالعلي عبد الحميد حامد.ط1، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (1988م). السنن. تحقيق بشار عواد معروف. د.ط. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1411هـ–1991م). درء تعارض العقل والنقل. ط2. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1416هـ – 1995م). مجموع الفتاوى. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الجزيري، عبد الرحمن. (1426هـ – 2005م). الفقه على المذاهب الأربعة. ط1. القاهرة: دار البيان العربي.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن. (1421هـ – 2000م). صفة الصفوة. د.ط. القاهرة: دار الحديث.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1407هـ – 1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد. (1440هـ – 2019م). الأربعين في أصول الدين. د.ط. القاهرة: دار العلم والمعرفة– دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. (1415هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية،

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. (1379هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. د.ط. بيروت: دار المعرفة،

الحربي، حسين بن علي. (1417هـ – 1996م). قواعد الترجيح عند المفسرين. ط1،. الرياض: دار القاسم.

الحلبي، علي بن إبراهيم.(1427هـ). السيرة الحلبية. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان، محمد بن يوسف،. (1420هـ). البحر المحيط. د.ط. بيروت: دار الفكر.

دراز، محمد عبد الله. (د.ت). النبأ العظيم. د.ط. الدوحة: دار الثقافة.

ديفنبورت، جون.(2012م). دفاع واعتذار لمحمد والقرآن. ترجمة: صالح صابر زغلول، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1419هـ – 1998م). تذكرة الحفاظ. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1382هـ – 1963م). ميزان الاعتدال. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. (1420هـ). مفاتيح الغيب. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رضا، محمد رشيد. (1406هـ). الوحي المحمدي. ط3. بيروت: مؤسسة عز الدين.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (1376هـ – 1957م). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو زهرة، محمد. (1427هـ – 2006م). محاضرات في النصرانية. د.ط. القاهرة: دار الفكر العربي.

السبكي، عبد الوهاب. (1413هـ). طبقات الشافعية الكبرى. ط2. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1420هـ – 2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد محمد. (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

السّقّا، أحمد حجازي. (1977م). البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. د.ط. القاهرة: دار البيان العربي.

الشوكاني، محمد بن علي. (1414ه). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط1. دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. د.ط. مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر. (1984م). التحرير والتنوير. د.ط. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. (1412هـ- 1992م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ط1. بيروت: دار الجيل.

أبو عبيد، القاسم بن سلّام. (1384هـ- 1964م). غريب الحديث. ط1. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد. (1417هـ- 1997م). شرح العقيدة الطحاوية. ط10. بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. (1422ه). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي. (1439هـ - 2018م). الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى. ط3. دمشق -بيروت: مكتبة الغزالي- دار الفيحاء.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. د.ط. بيروت: إحياء التراث العربي.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1384هـ - 1964م). الجامع لأحكام القرآن. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية

كامل، وهيب جورجي. (1985م). مقدمات العهد القديم ومناقشة الاعتراضات. ط1. القاهرة.

الكتاب المقدس.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1408هـ - 1988م). البداية والنهاية. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1420هـ- 1999م). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة.ط2. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). السنن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومذيّل بحكم الألباني. د.ط. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

المباركفوري، صفيّ الرحمن. (1433هـ - 2012م). الرحيق المختوم. ط1. القاهرة: دار الغد الجديد.

محمود، مصطفى. (د.ت). حقيقة البهائية. ط2. القاهرة: دار المعارف.

المراغي، أحمد مصطفى. (د.ت). تفسير المراغي، د.ط. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري.(د.ت). الجامع الصحيح. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. القاهرة-بيروت: دار إحياء الكتب العربية -دار إحياء التراث العربي.

ملكاوي، محمد. (1418هـ - 1997م). مختصر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي. ط1. مطبعة البهجة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414ه). لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر.

مونتجومري، وات. (د.ت). محمد في مكة. تعريب: شعبان بركات. د.ط. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

ابن نبي، مالك. (1437هـ - 2016م). الظاهرة القرآنية. د.ط. القليوبية: دار الوطن.

نولدكه، تيودر. (2004م). تاريخ القرآن. ط1. بيروت:- مؤسسة كونراد.

النووي، أبو زكريا يحي بن شرف. (1392ه). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن هشام، عبد الملك. (1427هـ - 2006م). السيرة النبوية. ط1. القاهرة: دار ابن الهيثم.

63) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. (1430ه). التفسير البسيط. ط1. عمادة البحث العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

64) ابن الوزير، أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني. (1407هـ – 1987م). إيثار الحق على الخلق. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

قائمة المراجع المرومنة:

Ibn al-Atheer, Ali Ibn Abi Karam. (1415 AH-1994AD). *Usd Al-Qabeh fi marifat Al-Sahaba*. (In Arabic), i 1. Beirut: Scientific Books House.

Ibn Al-Atheer, Majd Al-Din Abu Al-Saadat Al-Mubarak Bin Al-Mubarak. (D.T). *Al-Nihaya fi Qareeb Al-Hadeeth walathar*. (In Arabic)T. Beirut: Scientific Library.

Idris, Hamed Mohammed. (1427 A.H.-2006 A.D.) *Orientalists' opinions on the concept of revelation, presentation and criticism*, (In Arabic) (The Noble Qur'an Symposium in Oriental Studies - The Prophet's City), King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an.

Al-Alusi, Shihab Al-Din Mahmoud bin Abdullah. (1415 AH). *Rouh Al-Maani fi Tafseer Al-Quran Al-Atheem wAl-Saba Al-Mathani*. (In Arabic)i 1. Beirut: Scientific Books House.

Al-Bukhari, Mohammad bin Ismail. (1422 AH). *Al-Jamii Al-Saheeh*. (In Arabic), i 1. Beirut: Dar Touq Al Najat.

Al-Baghawi, Abu Mohammad Al-Hussein bin Masoud. (1409 AH). Malim Al-Tanzeel. (In Arabic)T. Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution.

Al-Buqa'i, Ibrahim bin Omar. (D.T). *Natham Al-Dorar fi Tnasub Al-ayat walsouar*. T. Cairo: Islamic Book House.

Al-Busairi, Abu Al-Abbas, Ahmad bin Abi Bakr. (1420 AH - 1999 AD). *Itjaf KHayarah Al-Maharah bizwaed almasaneed alashara*. (In Arabic), i 1. Riyadh: Al-Watan Publishing House.

(Al-Bayrouti, Mohammad bin Taher (1414 AH - 1993 AD). *Al-Aqaeed Al-Wathaniyah fi Al-Dyanah Al-Nasranyah: Mohammad Abdullah Al-Sharqawi*, (In Arabic), 1st Edition. Beirut - Cairo: Dar Omran - Al-Zahra Library.

Al-Baydawi, Nasser Al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar. (1418 AH). *AnwarAltanzeel wa Asrar Altaweel*. (In Arabic), 1st floor, Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein. (1408 AH - 1988 AD). *Dlaeil Alnoubawah*. -Muti Qalaji, (In Arabic), Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Dar al-Rayyan for Heritage, 1st ed. 1408 AH / 1988 AD.

Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein. (1423 AH - 2003 AlShouab AlImaan. (In Arabic), Edited and reviewed by its texts and its hadiths came out by Dr. Abdul-Ali Abdul Hamid Hamid, 1st floor, Riyadh: Al-Rushd Library for Publishing and Distribution in Riyadh, in cooperation with the Salafi House in Bombay, India.

Al-Tirmidhi, Mohammad bin Isa bin Surah. (1988 AD). *Sunan*. (In Arabic), Investigation by Bashar Awad Maarouf. Dr. T. Beirut: Islamic West House.

Ibn Taymiyyah, Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim. (1411 AH - 1991 AD). *Daraa Taroud Alaql wanaql*. (In Arabic), i 2. Kingdom of Saudi Arabia: Imam Mohammad bin Saud Islamic University.

Ibn Taymiyyah, Ahmad Ibn Abd al-Halim. (1416 AH - 1995 AD). *Majmoua Alfatawi*. (In Arabic), Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an.

16) Al-Jaziri, Abdul Rahman. (1426 AH - 2005 AD). *Al-Fiqh ala Almathaheb AlArbaaheh*. (In Arabic), i 1. Cairo: Dar Al Bayan Al Arabi.

Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman Ibn Abi al-Hasan. (1421 AH - 2000 AD). *Sifat AlSafwaheh*. (In Arabic), Dr. T. Cairo: Dar Al-Hadith.

18) Al-Gawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad. (1407 AH - 1987 AD). *Al-Sahah*. (In Arabic), I 4. Beirut: House of Science for Millions.

Abu Hamid Al-Ghazali, Mohammad bin Mohammad. (1440 AH - 2019 AD). *Al-Arbaeen fi Osoul Aldeen*. (In Arabic), Dr. T. Cairo: House of Science and Knowledge - Dar Al-Taqwa for printing, publishing and distribution.

Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Mohammad. (1415 AH). *Al-Isabeh fi Asmaa Al-Sahabeh*. (In Arabic), i 1. Beirut: Scientific Books House.

Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Mohammad. (1379 AH). *Fath Al-Bari fi sarh Sahih Al-Bukhari*. (In Arabic), Dr. T. Beirut: House of Knowledge,

Al-Harbi, Hussein bin Ali. (1417 AH - 1996 AD). *Qwaed Al-Tarjeeh ind Al-Mofasreen*. (In Arabic), i 1,. Riyadh: Dar Al-Qasim.

Al-Halabi, Ali bin Ibrahim. (1427 AH). *Al-Serah Al-Halabiyah*. (In Arabic), i 2. Beirut: Scientific Books House.

Abu Hayyan, Mohammad bin Yusuf. (1420 AH). *Al-Bahr Al-Moheet* . (In Arabic), T. Beirut: Dar Al-Fikr.

Diraz, Mohammad Abdullah. (D.T). *Al-Nabaa Al-Atheem*. (In Arabic), T. Doha: House of Culture.

Davenport, John. (2012). *Defense and apology to Mohammad and the Qur'an*. (In Arabic), Translation: Saleh Saber Zagloul, 1st Edition. Beirut: Scientific Books House.

Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammad bin Ahmad. (1419 AH - 1998 AD). *Tathkerat Al-Hofaz*. (In Arabic), i 1. Beirut: Scientific Books House.

Al-Dhahabi, Abu Abdullah Mohammad bin Ahmad. *Mizan Al-Aiitidal*. (In Arabic), Investigation: Ali Mohammad Al-Bajawi. i 1. Beirut: Dar Al Maarifa for Printing and Publishing.

Al-Razi, Abu Abdullah Mohammad bin Omar. (1420 AH). *Mafateeh Al-qayb*. (In Arabic), i 3. Beirut: Arab Heritage Revival House.

Reda, Mohammad Rashid. (1406 AH). *Mohammadan revelation*. (In Arabic), i 3. Beirut: 3 (Ezz El-Din Foundation.

Al-Zarkashi, Abu Abdullah Mohammad bin Abdullah. (1376 AH - 1957 AD). *Al-Borhan oloum Al-Qur'an*. (In Arabic), Investigation: Mohammad Abu Al-Fadl Ibrahim. i 1. Cairo: House of Revival of Arabic Books.

Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar. (1407 AH). *Al-KHashaf*. (In Arabic), i 3. Beirut: Arab Book House.

Abu Zahra, Mohammad. (1427 AH - 2006 AD). *Mohadarat fi Al-Nasraniyah*. (In Arabic), Dr. T. Cairo: Arab Thought House.

Al-Subki, Abdel-Wahhab. (1413 AH). *Tabaqat Al-SHafiyah Al-kubraa*. (In Arabic), i 2. Cairo: Dar Hajar for printing, publishing and distribution.

Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser. (1420 AH - 2000 AD). *Tayseer Al-Kareem Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan Mannan*. (In Arabic), i 1. Beirut: Al-Resala Foundation.

Abu Al-Saoud Al-Emadi, Mohammad bin Mohammad Mohammad. (D.T).*Irshad Al-Aql Al-Sleem fi Mazaya Al-Kitab Al-Azeez*., (In Arabic), T. Beirut: Arab Heritage Revival House, Dr. T.).

Al-Saqqa, Ahmed Hegazy. (1977 AD). *Annunciation of the Prophet of Islam in the Torah and the Bible*. (In Arabic), Dr. T. Cairo: Dar Al Bayan Al Arabi.

Al-Shawkani, Mohammad bin Ali. (1414 AH). *Fath al-Qadeer*. (In Arabic), i 1. Damascus - Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalam Al-Tayyib.

Al-Tabari, Mohammad bin Jarir. (D.T). *Jamii Al-Bayan un Taweel Aii Al-Quran*. (In Arabic), Dr. T. Makkah Al-Mukarramah: House of Education and Heritage.

Ibn Ashour, Mohammad al-Tahir ibn Mohammad al-Tahir. (1984AD). *Al-Tahreer wa Al-Tanweer*. (In Arabic), T. Tunisia: Tunisian publishing house.

Ibn Abd al-Bar, Abu Omar Yusuf bin Abdullah. (1412 AH - 1992 AD). *Al-Isteaab fi Marifat Alsahaba*. (In Arabic), i 1. Beirut: House of Generation.

Abu Obaid, Al-Qasim bin Salam. (1384 AH - 1964 AD). *Qareeb Al-Hadeeth*. (In Arabic), i 1. Hyderabad: Ottoman Encyclopedia Press.

Ibn Abi Al-Ezz, Ali bin Ali bin Mohammad. (1417 AH - 1997 AD). *Sharh Al-Aqeedah Al-Tahawoyah*. (In Arabic), i 10. Beirut, Al-Risala Foundation.

Ibn Attia, Abu Mohammad Abd al-Haq ibn Ghalib. (1422 AH). *Al-Moharar* Al-Wajeez: Abd al-Salam al-Shafi. (In Arabic), i 1. Beirut: Scientific Books House.

Iyadh, Abu Al-Fadl Iyadh bin Musa Al-Yahsabi. (1439 AH - 2018 AD). Al-*Shifa fi Al-Taref Fhhloul Al-Mustafa*. (In Arabic), i 3. Damascus - Beirut: Al-Ghazali Library - Dar Al-Fayhaa.

Al-Aini, Abu Mohammad Mahmoud bin Ahmed. (D.T). *Omdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari*. (In Arabic) Dr. T. Beirut: Reviving the Arab Heritage.

Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed. (1384 AH - 1964 AD). *Al-Jamii Liahklam the Qur'an*. (In Arabic), i 2. Cairo: The Egyptian Book House

kamil, Georgian waheeb. (1985 AD). *Introductions to the Old Testament and a discussion of objections*. (In Arabic), i 1. Cairo.

The Bible.

Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar. (1408 AH - 1988 AD). *Al-Bidayah Wanihayah*. (In Arabic), i 1. Beirut: Arab Heritage Revival House.

Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar. (1420 AH - 1999 AD). *Tafseer Al-Quran Al-Atheem*: (In Arabic), Sami bin Muhammad Salama, 2nd Edition. Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution.

Ibn Majah, Muhammad bin Yazid al-Qazwini. (D.T). *Sunan*. (In Arabic), Investigation: Muhammad Fouad Abd al-Baqi and appended to the ruling of al-Albani. Dr. T. Cairo: House of Revival of Arabic Books.

Al-Mubarakpuri, Safi Al-Rahman. (1433 AH - 2012 AD). *Al-Raheeq Al-Maqtoum*. i 1. Cairo: The New Tomorrow House.

Mahmoud, Mustafa. (D.T). Baha'i truth. (In Arabic), i 2. Cairo: *Haqiqat Al-Bahaiyah*.

Al-Maraghi, Ahmad Mustafa. (D.T). *Tafseer of Maraghi*, (In Arabic), d. Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Press.

Muslim, Abu al-Husayn Muslim bin Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi (d. T.). *Al-Jamii Al-Sahih*. (In Arabic), Investigation: Mohamed Fouad Abdel Baqi. Dr. T. Cairo-Beirut: House of Revival of Arabic Books - House of Revival of Arab Heritage.

Malkawi, Muhammad. (1418 AH - 1997 AD). *Summary of the book Showing the Truth by Sheikh Rahmatullah Al-Hindi*. (In Arabic), i 1. Al Bahja Press.

Ibn Manzoor, Mohammad Ibn Makram. (1414 AH). *Lisan Al-Arab*. (In Arabic), i 3. Beirut: Dar Sader.

Montgomery, Watt. (D.T). *Mohammad in Mecca*. (In Arabic), Arabization: Shaban Barakat. Dr. T. Beirut: Modern Library Publications.

Ibn Nabi, Malik. (1437 AH - 2016 AD). *Quranic phenomenon*. (In Arabic), Dr. T. Qalyubia: Dar Al-Watan.

Nöldeke, Theodor. (2004 AD). *History of the Qur'an*. (In Arabic), i 1. Beirut: Conrad Foundation.

Al-Nawawi, Abu Zakaria Yahya bin Sharaf. (1392 AH). *The curriculum explained Sahih Muslim bin Al-Hajjaj*. (In Arabic), i 2. Beirut: Arab Heritage Revival House.

Ibn Hisham, Abd al-Malik. (1427 AH - 2006 AD) *Al-Sirah Al-Nabawyah*. (In Arabic), i 1. Cairo: Ibn Al-Haytham House.

Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmad. (1430 AH). *Al-Tafseer Al-Baseet*. (In Arabic), i 1. Deanship of Scientific Research: Imam Mohammad bin Saud Islamic University.

Ibn al-Wazir, Abu Abdullah Mohammad ibn al-Murtada al-Yamani. (1407 AH - 1987 AD). *Ethar Al-Haq ala Al-Khalq*. (In Arabic), i 2. Beirut: Scientific Books House.